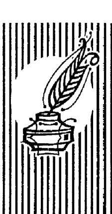
هجرة .. قاسم أمين !





هجرة قاسم أمين !!

محمد عبد المجيد

الطبعة الثانية

الناشر
ميدان الرياضة

إهداء

إلى قدرة المرأة - بعد أن خرجت وتعلمت .. على إتيان المستحيل .. بإرغام المجتمع الذي طالبته بالتحرر على أن ينظر إليها - من جديد - كإنسانة .. صاحبة موقف وكفاءة ومبدعة ومشاركة في كل بناء .. بل "نجمة" تشع وتنير وتضيف .

** ** **

اسلافهن فعلن ذلك .. وبعض المعاصرات أيضاً !!

(محمد)

مقدمة

في كل .. الأحوال !!

●● لن يشتد عود الأمة فجأة عقب نزع المرأة لحجاب ارتدته .. وارتضته !

▫ ولن ينطلق وطن مثخن بجراحه واحباطاته – بغتة .. لمجرد أن جموع المرأة قد اقتنعت .. أو تم إجبارها على الاتشاح .. بالحجاب !

●● وفي نفس الوقت .. لن يتحقق التقدم .. والوصول إلى باب "العصرية " بأن تنحنى المرأة لمن يوظفون تضاريس جسدها .. باعتبارها سلعة مطلوبة الرواج وبأن تتحول الارتفاعات والإنخفاضات .. إلى سهول !

●● وثبة مجتمع تداخلت فيه الخطوط .. وأختلطت – حتى في ذهن المتعلمات – الأوراق مازالت مجهضة في مناقشاته وتغيراته وتأويلاته حول الحلال والحرام .. والحجاب أو التحرر .. واستنزاف طاقاته عبر ٥٠ سنة (!!) في حوارات عقيمة .. مرشحة للإستمرار (!!)

●● مجتمع بهذا التشوش .. مازال حتى الآن يفتقد إلى "شخصية" المرأة المؤثرة .. وتنظر قطاعات عريضة فيه رغم ما شهدته من تحولات إلى المرأة بإعتبارها .. "امرأة" !!

●● مجتمع انساقت فيه المرأة إلى مخططات توظيفها برخص وتسفيه .. واستخدمت من خلال أبواقه وأدواته كل "الإبتكارات" التي تخاطب جانب في تكوينها على حساب تغييب وإجهاض ..جانب آخر !

●● مجتمع لا يؤمن .. وتساعده المرأة على ذلك (!!) ..لا يؤمن بأن نفس المرأة شريك أساسي وليس مجرد "نوع" .. ويتخطى دورها إذا تحقق ما يقدمه الرجل من أدوار .. والذي لم يستطع حتى الآن !

بنظرته الاحادية (!!) .. أن يحقق للمجتمع المكدود .. طموحاته !

●● مجتمع لا يريد مع استمرار هذه النظرة .. ووفقاً لقراءة التاريخ .. أن يقتنع بالربط بين تردي المرأة والأمة وبين السمو بمكانتها ودورها وانطلاقة مجتمعها .. حتى لو كانت التكاليف الشرعية تدل على أن المرأة وهبت من العقل بمثل الرجل .. وأن الشريعة الإسلامية قد سوت المرأة والرجل في الحقوق .. وأحكام نفس الشريعة أكسبت المرأة مكانتها اجتماعياً ..

●● مجتمع إذا تخلى عن نظرته .. واقتنعت المرأة فيه بأن عنادها الناضج دون أن تستسلم لمركبات النقص (!!) .. يجب أن يقودها عقب ما تعرضت له إلى انتهاج السير نحو الشخصية الجديدة المنوطة بتقلد ومباشرة ملامح يحددها هذا الكتاب .. فإنها قادرة ولأسباب عدة على إقالته من عثرته .. وتوثيق إنطلاقة ممكنة وملموسة على أرضه.

●● كانت القضية يوماً ما بالنسبة لمحرر المرأة "قاسم أمين" أن يواجه بضراوة عصر المشربيات

"واليشمك" والحرملك .. وأن يقاتل من أجل تعليمها .. وإخراجها من قمقم التقاليد والتخلف .. وكان مرتكز الكتابين اللذين أشتهر بهما يدوران حول هذا المحور والتصدي لمن تصدوا له بضراوة وعدوانية .. وسفالة أيضاً !

●● كان قاسم أمين في إطار هذه المرحلة التي أعتقلت خلالها المرأة داخل المنازل والملابس – ومن وجهة نظري – نموذج رائع ومبهر في مستوى الطرح والتحليل والمواجهة .. خصوصاً وهو يقارن بين تدرج نظرة الأوربيين للمرأة حتى وصلت إلى مكانتها وفاعليتها .. أو عندما طرح الرؤية الحضارية للإسلام .. لعقلها ومكانتها ومسئولياتها .. وسلامتها النفسية .. وكفاءاتها الذاتية ..

●● لقد تحقق جانب كبير من أفكار قاسم أمين وبخاصة المطالبة بتعليمها .. ولكن حجم ما تعرض له المجتمع من متغيرات في أعقاب خروجها .. وانعدام التوجه لمساعدتها على إستكمال قدراتها .. وتكثيف سياسات خضوعها لمنطق " الأنثى " في

التفكير .. سواء كانت وراء المشربيات .. أو الآن في وسط الشوارع (!!)

.. كل هذا كان وراء " مناخ " مشوش مازالت تعيش فيه قطاعات عريضة من المرأة .. لم تفلت وتنجو وتقفز من أسواره .. إلا نماذج أيضاً عديدة .. أحتاطت .. وخططت .. وبزغت وأنارت .. بقيمتها ومكانتها وعلمها .. لقد فهمت وأستوعبت .. وتفوقت على الرجل في مجالات عديدة .. وهو نفس الرجل الذي وقفت معه منذ مئات السنين في المعارك .. والساحات المفتوحة .. يواجهان معاً .. أعداء الإسلام (!!)

●● ربما لم يتحقق ما كان يأمله قاسم أمين .. فليست القضية كما كان يطالب مقصوراً على تحرير "كائن" ومساعدته وتعليمه فقط .. بل كانت اطروحاته تدور حول "دور" هذا الكائن بشكل عام .. بعد ذلك !! وبإعتبار أن العلم وقيمة العمل وفاعلية المشاركة هي أساس تقدم المرأة .. لا بمساحات العُري والإباحية !

●● وليس مطلوباً من المرأة – مثل الرجل .. أن

تتحـــول مع بـــنات جنســـها بـــالكامل إلى "صنف" النجومية في الأدب والفكر والعلم والإبـــــــــتكار والاستاذية والقضاء وغيرها .. بل أن تسود النظرة المطلوبـــة لها .. حـــتى لو كانت أصغر عاملة في مصنع وتؤدي دور مطلوب .. في المجتمع الكبير ! .. فلن يتحقق اصلاح مجتمع إلا بإصلاح اخلاقيات التضاد والكذب والتناقـــض .. وبـــإصلاح النظرة للمرأة !

●● وأكاد أتخيل – وأجزم .. أن ديناميكية الزمن لو كانت أسرع .. واستطاع قاسم أمين أن يرى بـــعينيه "نتائج" ما طالب بـــه .. أكاد أتخيل مع ما واجهه وما تعرض له .. دون أن نحاسبـــــــــه على المناخ والمتغيرات والسياســـات (!!) .. أنه ســـوف يتخذ قـــراره بـــالهجرة الفورية .. الهجرة إلى مجتمعات طبقت أفكاره قبله .. ومن عشرات السنين ..

●● وانطلقت إلى الامام بقـــوة دون أن تستغرقـــها المجادلات والحوارية حول "الكائن الجميل" .. الذي يسعى الجميع إلى تجميله .. وإبراز مقـــدرات جماله (!!) .. حول "الكائن اللغز" الذي يصر البعض على

وصفه بالغموض .. حتى "يتشرنق" أكثر في حرائر .. أنثويته (!!) .. حول "الكائن البديع" .. حتى يظل صورة ماثلة للتمتع والإبداع الحسـي واستقطاب الاهتمام والمتابعة في "المشية" والحـركة .. والرقصة !

●● حول الكائن الذي اعتقلناه في ساحة عيوننا - بأنانيتنا .. وأخرجناه بتأثيره وقدراته الضخمة من ساحة التواجد الفعلية الشاملة .. وأكتفينا بقدراتنا وإبداعاتنا في القيادة والإنجاز والمسيرة حتى أوصلتنا إلى .. ما نحن فيه !

●● وهو نفس الكائن .. الذي أعطيناه حرية التعلم .. والتواجد .. بينما في داخلنا نحن وبشـكل عام ننظر له - بأنه قد نال حقوقه ..

ووصل كأفراد إلى مناصب عليا .. بـينما التعامل والنظرة والتوظيف لإمكانياته الأنثوية التاريخية .. على قدم وساق (!!)

▬ ▪▪ ▬ ▪▪ ▬ ▪▪ ▬

أنوثة .. مع إيقاف التنفيذ !

(وسط المحورين - بكل ما يحملان من تفاصيل الاستثمار والجهل الأعمى (!!) .. يتم اغتيال المرأة منذ البداية .. فتخرج قطاعات عريضة من الأجيال ضائعة ومشوشة وبلا شخصية .. ترتدي "البادي" وصرة بطنها عارية .. وتحرص بشغف على اقتناء كاسيتات .. المشايخ والمطربين الجدد معاً !!)

وهي تتجه إلى ترسيخ شخصية معاصرة .. وسط كل هذا الإنهيار .. بعزيمتها وحدها .. عن فهم واستيعاب .. وليس – بالضرورة – بالإلتفات مجتمعها .. لأهمية ذلك !

ليس مطلوباً . أو مرغوباً .. ووفقاً للطبيعة والتكوين الفسيولوجي .. أن تعتقل أنوثتها .. وتتخلص بمجرد قرار أو استراتيجية موجودة (!!) .. من مستوى "احساس" الكائن الأنثوي .. وتدشن كامل تفكيرها في بناء قواعد للصواريخ والمعلومات .. وتنشيط آليات السوق والدولاب الحكومى .. والمشاركة في تفعيل الحركة الإعلامية والأدبية الجديدة..

●● المطلوب ..

أن تتولى – إذا فهمت واستوعبت .. زمام "لجام" مجتمع بأكمله تدور الحياة فيه حول المرأة .. فهي

الأم الرؤوم المقدسة .. والأخت المصونة العفيفة .. والزوجة البيت والمرتكز والأسرة .. والأبنة بحلم تزويجها والعمل ليل نهار لتوفير مستلزمات حياتها وزواجها .. بالإستدانة والقروض والجمعيات .. وحتى نهاية العمر !

المجتمع في النهاية كاذب – ودجال .. ويضحك عَلى نفسه .. يقدس المرأة التي هي الميلاد والحياة والمستقبل والقيمة النفسية والأخلاقية .. ويضحك عليها في العموم .. في نفس الوقت !!

من خلال أجهزته – وسياساته .. وعصابات الاستفادة والتوظيف .. التجاري والديني !! .. يهيء ذهنها منذ نعومة أظافرها .. ويوجه تفكيرها منذ الميلاد .. نحو صورة المرأة " العروسة " بكل ما تتطلب من سعي لأدوات التجهيز والتجميل .. أو صورة المرأة " العورة" التي يجب أن تستر مفاتنها داخل خيمة النقاب .. أو ستار الحجاب .. حتى لو كانت البداية في "شكل" بنات لم يتجاوزن الخامسة .. بكل ما يحملن من عفة وبراءة وتلقائية .. وحرص من ذويهم على ارتداء الحجاب .. وسط فرحتهم

الطاغية بـــهذا " الانتصار " في اغتيال طفولتهم .. والتباهي بأصطحابهم إلى المســـاجد والتجمعات .. لمزيد من الزهو والتباهي .. الإيماني !

●● وسط المحورين – بكل ما يحملان من تفاصيل الإستثمار والجهل الأعمى (!!) .. يتم اغتيال المرأة منذ البداية .. فتخرج قطاعات عريضة من الأجيال ضائعة ومشوشة وبلا شخصية .. ترتدي "البـــادي" وصرة بطنها عارية .. وتحرص بشغف على اقتناء كاسيتات المشايخ والمطربين الجدد معاً (!!) ..

●● أو .. تشعر بـــالانغلاق والتحـــجر وهي غضة صغيرة تتلقى أوامر وتنويهات الحـــرام والحـــلال وعذاب القبر .. وفي نفس الوقت تتواجد في النادي والمدرسة والشـــارع والعائلة .. وتلتقـــط بـــأذنيها وعينيها "مناهج" أخرى في الحياة .. سواء معتدلة أو متردية .. مع التزام بمناهج "أخرى" مقـــررة عليها منذ كانت .. مفعوصة !!

●● أو تمارس بعضهن نفس الصورة – الضحك .. على مجتمعها الكبير .. ومجتمع أسرتها الصغير .. وترتدي الحجاب .. لتمارس الحياة " المعاصرة " بلا

ضوابط أو فهم لها .. لذلك لا عجب ولا دهشة .. أن يرى مئات الآلاف من الناس مثلاً المئات من الفتيات والسيدات المحجبات بطول كورنيش الاسكندرية من المنتزة حتى الأنفوشي .. وفي ساعات الصباح وذروة العمل (!!) .. يجلسن بجوار أصدقائهن .. اثنين .. اثنين (!!) .. وفي أوضاع جميلة (!!) .. ويعطين ظهورهن للمارة والسيارات .. ووجهوههن للبحر !! ..

●● لا علاقة بالطبع للإسلام أو مفهوم الحجاب بما تفعله هؤلاء .. ولكن على السادة أساتذة الإجتماع وعلم النفس أن يحددوا ويحللوا في ضوء ما ذكرت هذه الظاهرة .. وعلاقتها بقضية الضحك المتبادل (!!) (!!)

●● وبالطبع أيضاً .. هناك المحجبات في القطاع الأعرض يعرفن ويستوعبن ويلتزمن بلا افراط أو تفريط فيما يفرضه الإسلام .. وهناك غير محجبات .. ولكن محتشمات وملتزمات ويفرقن بحكم التربية والتنشئة بين الممنوع والمحظور وبين المعتدل والمقبول مع ممارسة حياتهن بإتساق أو بحد أدنى ..

من الضحك !

●● لم تكن القضية في صورة هذه – وتلك .. ولكن ما يفعله " الشواذ " في المحورين اللذين ذكرتهما .. تظل الأعلى صوتاً وجذباً للإهتمام والأنظار .. بل ومن خلال الحفلات الإعلامية .. ويظل " الوقود " المنتظر من المحورين مبدداً في الهواء بين فرق وشيع .. وقود شاب وناضج ومفعم بالطموح والارادة .. يمكن أن يشغل ماكينة الإهتمام بالشخصية المطلوبة من المرأة .. ولكن بلا جدوى أو بقاء إلا لحلقات .. الحوار العقيم !

●● المرأة التي ينظر إليها المجتمع كسلعة يتولى تجهيزها للتسويق منذ الصغر .. أو " مصيبة " كبيرة يجب التعامل معها منذ البداية بالتغطية والتعليمات .. وبين الاتجاهين يغرق " بال وذهن " المرأة الطفلة والبالغة والكبيرة في بوتقة الثرثرة الجوفاء حول التفاصيل الجوفية .. لتضيع القضية الرئيسية في أنها "إنسانة" مثل الرجل .. تعيش وتتعلم وتعمل مثله بلا عائق من الاختلاف الفسيولوجي .. وإلا ما السبب في تفوق المرأة وقدرتها في مجالات معينة ..

وفرض نفوذ إبـــــداعها على المجتمع .. دون أن يستقطب جمالها وأنوثتها " ونوع " ملابســـها .. الاهتمام الأكبر ! .. تضيع القـضية في أن مجتمعها يريدها بحـجم ما يتعرض له من مشـاكل أن تكون أكثر تأثيراً .. لا تشتتيتاً !!

●● واستسلام المرأة – للمحورين .. وراء هروب قـطاعات عريضة منهن ليصبحـن أبـطالاً لهذه الظواهر التي تغففت عن ذكر المزيد والمفزع منها على مستوى .. المحورين !

●● أعود – لأقول .. تضيع القضية الرئيسـية في أنها محـور حـياة الرجل .. في الأسـاس (!!) .. وتسـتطيع أن تمتلك اللجام .. إذا رغبـت (!!) .. وتمردت – عن وعي – على القوالب المحـدودة لها سلفاً .. فتقتنع أن الجمال والدلال والأنوثة والدلع .. بعد أن خرجت للحياة والناس ونالت الشهادات العليا – هناك في البيت .. ومع زوجها!!

●● وإذا أقتنعت مع وجود " قاعدة " الإقـتناع فهي قـادرة على إختيار ملابسـها مهما كان نوعها أو مستواها .. وقادرة بـمجرد نظرة (!!) .. أن ترعب

الرجل وتزلزل فرائس بوهيميته.. وتلزمه حـــدوده (!!) .. وقادرة على وضع مسافات التعامل معه في الدواوين والمصالح والهيئات والمصانع والمنتديات وغيرها .. أقول مسافات .. لا مساحات بإعتبـــارها عورة يجب أن توضع مع زميلاتها في شمال مدرج .. وزملائها.. في يمين مدرج .. في العديـــد مـــن الجامعات !

●● إذا إقتنعت بأن هناك أسس للتعامل تضعها هي من البداية .. ومستوى إتساع ضحكات تتحـــكم فيها هي من البداية .. ومستوى "ظهور" إنســـاني ناضج ومهذب وبشوش للمرأة الطالبـــة والعاملة والموظفة والمهندسة والأستاذة وغيرها .. ظهور إنساني يعم وينتشـــر ويؤثر في جز وبـــتر نظرات وتصرفات الآخرين .. مستوى إنســـاني لا يهتز ويتراجع أمام طموح شخصي تبتغيه .. أو طلب مهني تسعى إليه .. أو مصلحة إجتماعية تتوق لتحقيقـــها .. فلا تجد أمام تذليل سريانها .. إلا أن تحل شعرها .. وتنشـــر جدائلها .. وتطلق لرموشـــــــها العنان .. وتوظف قسمات وجهها و"بحـــة" صوتها - للحـــصول على

المستحيل .. في دقائق !!

●● المرأة في العصر الحديث - القــرن الماضي وبدايات هذا القرن .. بدءاً من صفية زغلول وهدى شعراوي وسيزا نبراوي ونبــوية موســى وكوكب حــفني ناصف واســتر ويصا وروز اليوســـف والدكتورة سميرة موسى ومنيرة ثابت وحتى كريمة السعيد ودكتورة لطيفة الزيات ومفيدة عبد الرحـــمن وحكمت أبو زيد وإنجي افلاطون والدكتور نوال السعداوي والدكتورة نعمات أحــمد فؤاد وأم كلثوم وبنت الشاطيء وسلوى حجازي وأماني ناشد وفاتن حمامة وأمينة رزق وســناء جميل وسميحـــة أيوب ودرية شرف الدين وسكينة فؤاد وأمال فهمي وإنعام محمد علي

●● الأسماء - بـــلا ترتيب .. مع الحـــفاظ الكامل للقيمة والمكانة .. نموذج للمرأة المصرية في العلم والسياسة والفن والأدب والإبداع الأدبـــي والإعلام والفن التشكيلي والمحاماة .

●● الأسماء مجرد "عينة " .. وأسماؤهن ومواقفهن وعطاؤهن وتاريخهم يتطابق مع ما طالبت بـــه ..

ومجرد ذكرهن يوثق أكثر ما طرحته .. وأطالب به من " ملامح" راسخة لشخصية المرأة في الحضور والملبس والاداء والإبداع والمشاركة .. ولن أقول في التميز والعبقرية .. لأن المرأة المتعلمة على حد علمي قادرة على أن تقرأ .. وتفهم !

شخصية .. يصنعها الآخرون !

●● حتى في اللحظات - التي استرد فيها المجتمع عافيته ووعيه وارادته .. وعبر إلى الجانب الآخر .. ليوثق الانتصار على "السبب " في تفسخ مجتمع كان يتنامى !!.. امتلك المجتمع برجاله المخلصين وقتها زمام خطة العبور والاقتحام . ولكنه لم يكن يملك بعدها خطة أخرى شاملة للانسان بعنصريه .. الرجل والمرأة!

●● تسربت من " حـــديدية " الحلقـــات " المحـــيطة بتحركاتها من انغمست في قطاع هندسي أو فني جاد .. أو من انزوت بـــــــلا إكتراث في معامل علمية وأبحـــاث متواصلة .. ولم تخضع للحـــــصار من ألتصقت بخشبة المسرح أو عشقت بتجرد وإنغماس الشاشات والكاميرات .. وجسدت موهبـــتها لصالح عقول الآخرين .. من أبناء مجتمعها !

●● لم يهبطن أو يتنازلن .. ولذلك كانت كمثال فاتن حمامة وسميحـــة أيوب وأمينة رزق وســـناء جميل وغيرهن .. اللاتي لا يغادرن منازلهن .. ولا يذهبن للحـــفلات والجلســـات و"البـــرامج" المفتوحـــة إلا بالمقبول .. عشن المحـــراب بـــصدق .. وتصدين بذكاء منذ البـــداية لمحـــاولات الوأد لابـــداعهن .. ودفعهن دفعاً إلى ساحات العرض والإســـتعراض والإبـــــــتذال .. ولا فرق في رؤيتهن وإن أختلف

المجال عن المحامية الكبيرة مفيدة عبد الرحــمن أو الأديبة الراسخة بنت الشاطيء أو عالمة الذرة الأكثر صمتا في عملها ورحيلها الدكتورة سميرة موســى وغيرهن ..

●● كافحن وانتهين كأفراد .. وتحولن إلى "علامات" في تاريخ المرأة .. وقــمة توهج صورتها المنتظرة كانت – من وجهة نظري – في الســتينات .. كانت "النظرة" للمرأة تتجاوز مجادلات الحجاب والسفور .. كانت " شخصية " المرأة بشكل عام تتجه وتســير إلى المطلوب من تواجد بلا تفريط أو إفراط .. وجود شامل .. ويمتد !

●● كان " المناخ " الذي تراعيه وتراقبــــه وتؤيده الدولة .. يســــاعد على هذا الاتجاه المثمر .. وهي نفس الدولة بمغامراتها السياسية في هذه الفترة كانت المسئولة في أعقاب النكســة عن تيارات إجتاحــت مجتمع بأكمله .. فظهرت في هذه الفترة حتى بالنسبة للرجال ولأول مرة القــــــــمصان الكاروهات والمزركشـــة والبــنطلونات "الشارلســتون" وكي الشــعور المسترســلة بــالكريمات وغيرها ..(!!)

وإنحصر الصراع الفني بين أحـــمد عدوية وكتكوت الأمير من جهة .. وليلى نظمي وعايدة الشـــاعر .. من جهة أخرى !

●● حتى في اللحظات – التي أسترد فيها المجتمع عافيته ووعيه وإرادته .. وعبر إلى الجانب الآخر .. ليوثق الانتصار على " السبب " في تفسخ مجتمع كان يتنامى !! .. أمتلك المجتمع برجاله المخلصين وقتها زمام خطة العبور والاقتحام .. ولكنه لم يكن يملك بعدها خطة أخرى شاملة للإنسان بعنصريه .. الرجل والمرأة!

●● لم تكن " النظرة " للســـيدات الفضليات في المجالات التي ذكرتها في هذا الفصـــل أو الفصـــل السابـــق .. لم تكن النظرة إطلاقـــاً من المنظور الإجتماعي مرتبطة بمواصفات وقدرات جسدية .. بل إحترام وتوقـــير لمســـتوى الإطلالة والظهور والإبداع والطرح والتميز والإبتكار لكائن إنســـاني يحمل "إسم" لا .. نوع أو صنف!

●● وأعلن نفس المجتمع الإنفتاح على الغـــارب – ليزداد إغترابا .. وذهبت شرائح إلى الدول الشقيقة

لترتبط أجازاتها السنوية بالأقمشة والكاسيت والشامبوهات .. وترددت شرائح أخرى على بورسعيد بإعتبارها مرتكز لمثل هذه الوسائل .. وأنطلق الإعلام أكثر .. لتصبح الشاشات وصفحات المرأة في الصحف والمجلات مباراة مفتوحة للجمال والتجميل .. وظهرت أكثر المنتديات وعروض الأزياء ومسابقات الجمال .. عناصر عديدة تجمعت وتحركت في أكثر من اتجاه وفي فترات زمنية متقاربة .. أحكمت مع إنفصام يعيشه مجتمع حقق حلمه في الانتصار .. أحكمت حلقات حول فكر الفتاة والمرأة في أن تهتم في المنزل والشارع وخلال سعيها للعلم في الجامعات بكونها " كائن" صاحب مواصفات تحت الرصد والتقييم .. تفرض الإنسياق لعناصر التأثير .. في ابرازها !

●● وتفتق ذهن القائم الأول على المجتمع في هذه الفترة لمواجهة الناصريين واليساريين في الجامعات بتنشيط ودعم "الجماعات الإسلامية " التي دخلت من وقتها ولم تخرج وعقب سلسلة من

المعارك والمواجهات تخللها الصراع السياسي للوجود والتواجد على دفع الطالبة والفتاة لإرتداء الحجاب ..ليبدأ صراع آخر قوامه الإلتزام الديني بالتغطية الجسدية .. والسير بجوار الحائط .. وإنعدام نظرة أن تحترم الطالبة هذا الإتجاه مع احتفاظها بعقلها .. وأن تكون أكثر فاعلية وإيجابية .. بل أن تعود بفكرها عشرات السنين وإلى ما قبل .. قاسم أمين! .

●● لم تكن هناك انفراجات لمجتمع أستوعب القائمين عليه حجم ما تتعرض له المرأة في جموعها عقب إهدار فرصة تنامي شخصية معاصرة لوجودها وتأثيرها عليها .. في الستينات !

●● ولم تكن هناك إجتهادات .. غير التباهي بأنها تعلمت وتخرجت وتواجدت في كل مكان .. وأنها من علياء (!!) .. وفي إطار "إحترام" الرجال لمسألة المساواة – قد وصلت إلى أرفع المناصب ..

●● ولم تكن هناك نظرة – منصفة وأمينة .. لأحوال المرأة التي تخرجت وتعلمت .. ولكننا قمنا بتسليم عقول قطاعات عريضة منها إلى عناصر

التوظيف والإستثمار .. وأستسلمت قطاعات أعرض تحت عوامل الترغيب والترهيب للحجاب تحت ضغوط الأسرة و"المجتمع" وحلقات الحياة الخانقة إقتصادياً .. وهو في النهاية " خلاص " واقعي من كل هذا وذاك وبعيداً عن كل ..صداع !

●● لم يكن عبر ٤٠ سنة تقريباً بديل منطقي ومحترم وراسخ .. تقوده وتصر عليه الدولة .. وملامح "منهجية" في التعليم والإعلام ودور الأسرة تجتمع جميعاً على ما يجب أن تتحلى به المرأة .. سواء كانت ترتدي الحجاب عن اختيار وقناعة وصلابة في الإتجاه والتواجد أيضاً دون "تحميل" ديني للحركة واللفظ والسلوك!! .. أو لا ترتديه ولكنها أقرب في ملابسها إلي النماذج التي ذكرتها وكانت تمثل قمة الفاعلية والعطاء المجتمعي وقيادته إلى "ترسيب" نظرة مجتمع .. وتهذيبه!

●● تركنا المرأة بلا بدائل فكرية تقف وراءها المؤسسات والهيئات الضخمة .. وأغرقنا شخصيتها المعاصرة وسط تيارات عديدة بفضل سياسات وغزوات ومواجهات فاشلة ..

●● وأصبحت القطاعات الأعرض منها تكتفي بالتواجد في كافة القطاعات وفي داخلها "شخصية" صنعها الآخرون .. ومطالبة في مواقف ضعفها بتوظيفها للحصول على ما لا تستحقه .

●● وتعقد المجتمع الأكثر بمشاكله المتداخلة .. والمتطلبات المادية .. وسعار الأسعار .. وذابت المرأة بطموحاتها المفترضة (!!) .. ذابت أكثر في زحامه وصراخه ومتناقضاته .. وفشله العام !

اجابات مطلوبة لاسئلة .. بلا اجابات !

(لا معنى - ولا سبب .. ولا مبرر .. إذ لم تســـتوعب المطلوب منها.. وارتضت بـــالخنوع - بـــلا وعي - لمنطق إرضاء الذات الأنثوية .. في أن " تظهر " فـــي صـــورة الأفضـــل والأحســـــن .. والأجدر في جذب "اهتمامات " الآخرين ..!)

●● لا عزاء لها إذا لم تفهم ..
ولا مبرر لإستمرار قطاعات عريضة منهن في مسيرة التباهي بأنوثتهن .. ولا معنى لعدم إبداء قدرتها الإيجابية .. طالما أنها تعلمت وخرجت للدنيا .. وتقرأ هذه السطور ومثيلاتها .. وتطلع على أفكار الآخرين ..

●● لا مبرر - ولا سبب .. إذا أكتفت وقنعت بأن تكون مجرد " متبارية " في أشواط الأنوثة في الميادين والمحافل والمنتديات .. تختبر ردود أفعال تكوينها الأنثوي في عيون الآخرين .. تستطيب كلمات الغزل المغلفة والموحية والصريحة (!!) .. وتستمريء بلا إعتراض امتداد النظرات ذات الطبيعة الخاصة (!!) .. وتتسابق بصمت ومع الأخريات (!!) للمزيد من التجميل والإبراز ..

لإستجلاب المزيد من "أبناط" الإستحسان والإطراء والمغازلات العلنية والمستترة . وتتفنن في الإيحاء للآخرين بالحـــركة والنظرة .. لتؤكد للجميع بـــأن دورها "التاريخي" في هذا الصدد قائم وحـــيوي .. ومستمر !!

●● لا معنى – ولا سبـــب .. ولا مبـــرر .. إذا لم تستوعب المطلوب منها .. وأرتضت بالخنوع – بلا وعي – لمنطق إرضاء الذات الأنثويـــة .. فـــي أن "تظهر" في صورة الأفضل والأحســـن .. والأجدر في جذب "اهتمامات" الآخرين .. ليس مطلوباً منها الحرص على القبح .. وعدم الإعتناء بـــمظرها .. المطلوب أن تفهم حـــــجم المؤثرات والمخططات والتوظيفات التي قادت بـــصيرتها وحواســـها إلى منطقة مغلقة للاكتفاء بتطبيق نظرية التضاريس .. والسهول !

●● بلا فذلكة وفلسفة – وبلا مقدمات .. وبواقـــعية معاصرة .. لا يســـتطيع الرجل أن يطيل النظر أو يتقرب للمرأة إلا إذا سمحت بذلك وبوســـائل متعددة .. وهي نفس المرأة الكفيلة بـــمجرد نظرة (!!) أن

تزلزله .. وتوقفه عند حده .. إذا بـدأ الخروج عن "خط" للتعامل مطالبة هي بـفرضه .. وإذا توافرت – عن علم – إرادتها وحسن نيتها .. لا سوء نيته !
هي – وحدها .. قـادرة على خلق وترسيخ مناخ التعامل والنظرة لها .. قـادرة على أن تكون "عمليات" الرصد والمتابعة قاصرة على مستوى قدراتها وكفاءتها .. وإثبات ذلك وتوثيقه فوق "دماغ" ونزوات .. أهله !

●● الغريب أن المناخ الذي تواجدت فيه المرأة يدفع قطاع منها وهي تثرثر بالحقـوق والمسـاواة إلى إنتهاج أساليب غير سوية .. فهي إذا أستشـعرت – بالفعل أنها حصلت على المساواة .. وأصبحـت في المكان والحـركة والفرصة والندية في وضع المنافسة وإثبات الذات .. فقط (!!) .. فإنها سرعات ما تتحـول مع مرور الوقـت وتحـت وطء عدم الإحساس بـالتكافؤ الوظيفي والمهني والمهاري – إلى إستخدام وسائل أخرى لتحقيق المساواة ..

●● وهي عبـر مقـومات عديدة تنهل من عناصر وجودها التاريخي (!!) .. رغـم أنهـا خرجـت

●● ومع ذلك ..
أصبحت قطاعات عريضة من المرأة وبعد كل هذه السنين أسيرة " البيئة " المصنوعة لتواجدها وتفكيرها .. وأكثر حماساً وإنسياقاً لتعاليم التعايش معها .. أصبحت وهي تزاحم الرجل في المواصلات العامة والطوابير والأندية .. وتتمخطر أمامه بالمستحدث من الملابس والزينة .. وتقاسمه المكان والشارع والمدرج .. تحتد وتتشاجر وتتسامر وتشارك في كل شيء .. أصبحت المرأة بعد كل هذه السنين والتجارب والمناخ السائد أسيرة التحدث عن .. قضية المرأة!

●● وهي – في إطار الإكتفاء والإنزواء .. يجتاح فؤادها نشوة إذا صدر قرار بتعيينها وزيرة وكأنه الخلاص الأخير لقضية بنات جنسها .. أو أن المرأة حققت آخر انتصاراتها إذا تقلدت منصب في هيئة قضائية .. ولا تفتأ المتحذلقات من جنس المرأة وهن يواصلن التحدث عن قضية المرأة بأنها قدأصبحت وزيرة وقاضية .. وخلاص بقي !

وتعلمت ونالت نفس شهادات الرجل (!!) .. ولذلك تلجأ إلى جذب حواس الرجل .. بخصلة شعر متدلية .. وبفتحة بلوزة في اتجاه الصدر .. موحية (!!) .. وبتنغيم للصوت في التحدث بأفعوانية وثعبـانية .. بدلع وإطراء (!!) .. أو بنظرات مشبوبـة تؤكد لمن أمامها بأن بركات وسامته وجاذبيته .. قـد حـلت فجأة!!

●● وسرعان – أيضاً .. ما تدشن هذا كله وتتوجه .. بأبرز الأسلحة والوسـيلة الأخيرة الأكثر مجدية .. بالبـكاء المرير المتواصل المسـتغرق .. ليتراجع "الرجل" أمام غباء وقلة حيلة وفشل وإهمال والمرأة .. التي أعطيت لها فرصة المساواة والتواجد وإثبات الذات فقـط (!!).. ومع ذلك فهي تفضل في النهاية الإستعانة بوسائلها التاريخية التي أستمرأت نتائجها .. لتقبل بعد "صداع" المساواة بأن يتم حسم بـعض مأزق طموحـها وطلبـاتها .. وعجزها عن إمتلاك حجة أو موقف أو تبرير .. أو المناقشة أو الدفاع أو الإعتذار .. تقبـل بـأن تتم معاملتها بإعتبـارها .. امرأة!

●● ومع ذلك – أيضاً ..
فإنني أرى أن المرأة التي أمتلكت قـــــــرارها .. وعزيمتها .. ولاتصدعنا بـــــالثرثرة إياها .. ولا تجرى وراء الموضات .. تجدها خلف عجلة قـــيادة سيارة تاكسى .. أو بائعة أســواق تتلظى ملامحـــها بوهج الشمس طيلة النهار .. أو سيدة تحمل قـــصعة الأسمنت في مباني يتم تشييدها في ضواحـــي المدن .. لا يبحثن .. ولا يتحدثن عن شـــخصية معاصرة للمرأة .. راسخة .. مميزة .. معطاءة .. مثمرة ..
●● لم تتصفح الواحدة منهن الصحـــف .. ولاتهتمن بالكتب والدوريات .. ولا يحـــرصن على قـــضاء "الويك إند" ..
عصرتهن الظروف .. وشـــكلتهن الأحـــداث الشخصية .. ومناخهن الخاص (!!) .. وتحولن إلى أشغال وأعمال قد لا يحتملها أحياناً الرجل .. صمدن وأبدعن في نيل لقمة العيش .. أوجدن لأنفســهن .. المناخ .. والبيئة .. والشخصية !
●● بينما " المناخ " السائد – والأعم ..
هو الذي أحال كل هؤلاء "المتعلمات" إلى الإنســياق

لسياسات وأهداف وتوظيف الآخرين .. بالرقص على السلم .. بلا هدف .. أو شخصية وبصمة شاملة .. بل اللهث والمشاركة في حوارات جدباء عبر ٤٠ سنة عن المساواة .. وقضية المرأة ! والاستغراق في حوارات الحجاب والسفور .. مع أن شخصيتها في الستينات بلا حجاب (!!) .. لم تتطرق .. أو تقترب مع .. التزامها السلوكي بشكل عام من .. حكاية الحجاب !!

وتقفز أسئلة عدة في إطار ما طرحت :

●● هل أصرت المرأة منذ أن دشن قاسم أمين " صك " المطالبة بحريتها ودورها – على السعي نحو شخصية "سائدة" في الاداء والملبس والتواجد فوق أنوف الظروف والمخططات .. لتقنع الجميع – وبعزيمة لا تفتر .. بأنها ضرورة وحتمية وشريك أساسي .. وأهم (!!) .. واخراس قطاع عريض من المتخلفين والمتعلمين من رافعي لافتة بأنها في النهاية من ضلع أعوج ومجرد .. عورة متحركة !

●● هل كافحت وتصدت لمفهوم الكائن الأنثوي الذي حبسناه في الحرملك يوماً ما .. ولم نشاهد إلا

ظله خلف المشربـــيات .. ولم نألفه إلا داخل خيمة متحركة في الأسواق يمشى .. في خط مستقـــيم ! .. هل كافحت بعد أن خرجت من الخيمة وأنطلقت من الحرملك .. وأبدلت المشربية .. بنوافذ الألوميتال !

●● هل كافحـــت من خلال جمعياتها وتجمعاتها .. بإنتشار واستشراء .. بعناد وعزيمة وحماس .. منذ عشرات السنين (!!) ..هل كافحـــت لتوثق النظرة الناضحة لوجودها ككائن له بصمة .. وعطاء مساو .. وعقلية نافذة لا تكتف بوصول بعض بنات جنسها بقرارات الإرضاء .. إلى مناصب عليا !

●● هل نجحـــت بـــــإجتهادات خاصة ومتميزة .. وعصامية المواجهة ..في إزالة مناخ يحـــــــرص البعض على فرضه .. وبيئة يتسابق المحيطون بها في نسج خيوطها .. لكي تســتعد مننذ طفولتها لأن تتعامل .. ويتم معاملتها .. مهما تعلمت وخرجــت بإعتبارها .. امرأة !

●● هل نضجت شـــخصيتها عندما وصلت للجامعة .. فرفضت وصرخت على من يقـــودونها للجلوس في مدرج منفصل عن زملائها .. أو نجحـــــت من

خلال فرض "شخصية" تواجدها في أن تنتزع من مجتمعها فكرة أن يستقبلها الذكور من أبنائه المتعلمين ببشاشة وترحيب .. ثم يحدقون في جسدها لمجرد أنها أعطتهم ظهرها .. وأنصرفت !

●● هل ما تلقته من " خروج " بسافر (!!) .. وفض أستار الغيمة والإنغلاق .. وإطلاق معاصمها من قيود الرجعية القديمة .. وما تلقنته من تعليم عال ومتقدم من عشرات السنين (!!) .. هل أقنعها بأنها أكبر وأسمى من أن تخضع بعض بنات جنسها لعصابات توظيف أنوثتها في إعلانات .. وأنضج من أن تنساق إلى مافيا تجارة الأجساد بدءاً من اختراع "الكعب العالي" .. لكي يتحدث جسمها وهي تسير (!!) .. وحتى تبادل وصفات حلقات البصل والبنجر والخيار على وجوهن .. لتنعيم البشرة!

●● هل نجحت .. بوجودها (!!) .. في إيقاف سيل الخطاب الموجه إليها في وسائل الإعلام بإعتبارها إنسان له حق الإنسان " الرجل " في التعامل والرأي والطرح والجهد الخاص .. بعيداً عن مسألة

"التصنيف" في البرامج والحوار والأبواب المنشورة "وطبيعة" قضايا الجنسين في النظرة والتعامل والاحاسيس الخاصة .. وردود أفعالها المتوقعة .. هل يمكن أن يسود سؤال تليفزيوني موجه للرجل بنفس الصيغة للمرأة .. دون أن يختتم بعبارة : ومن جهة نظرك .. كامرأة"!

●● هل تميزت " المبدعات " منهن مثلاً في مجال الإخراج السينمائي .. والأكثر شهرة وظهوراً .. وصراخاً حول قضية المرأة (!!) .. هل تميزن في طرح وتجسيد وتوثيق هذه المعاني .. أم كان الأهتمام بالشباك .. أكثر (!!) .. بتعريتها .. وإبراز مفاتنها .. وتوظيف أجزاء جسدها باسم .. الضرورة الدرامية .. وحبكة الأحداث ! الغريب أن الأفلام الأبيض والأسود من عشرات السنين : كانت نظرة العتاب والكلمات المنكسرة والدموع الحزينة والإبتسامة الخافتة والوجه الجاف المتصلب والعبارات المنتقاة بعمق واحضان الشوق السريعة بلا إثارة .. والقبلات المختلسة بلا تعمق .. وعصر !! .. كانت بملامح عديدة محل الإهتمام

وتكرار المشاهدة .. حتى الآن !! .. بعيداً عن سفاهة وعهر وعجز هؤلاء .. وكانت تحقـــق العنصر الدرامي . وسمو بالغرائز والبشر .. وتحقق للجميع .. المتعة الفنية !

●● هل تستطيع واحدة من هؤلاء اللاتي تتحفنا من خلال التليفزيون بأحاديث قضية المرأة أن تقدم عملاً فنياً .. أبـيض وأسـود (!!) .. يتناول الأحاسـيس العاطفية . والقـوة والضعف .. والثراء والفقـر .. والطموح والانتهازية ..والشرف والإنحـراف .. والقيمة والأخلاق والمباديء مثل فيلم – العزيمة .. من ٦٠ سـنة !! .. هل يسـتطعن بـالكد والتعب والإجتهاد وإمعان التفكير والإبـــداع .. أم أن "الضرورة" تقـتضي صراخهن من خلال وسـائل الإعلام من جانب .. والتفنن في تعرية بنات جنسها .. في جانب آخر !

●● وهل أدركت بـعض الإعلاميات "شـخصية" هؤلاء في حق المرأة .. أم أقبلن عليهن بالإستضافة والتمجيد في برامجهن ليتحـفوا القـطاع الأعرض (!!) برؤيتهن حول عقد ومركبـات نقـص مجتمع

يجب نسفها داخل حجرات النوم .. بأشكال متعددة !

** هل النماذج المشرفة للمرأة .. واللاتي يفهمن هذه الخطوط العريضة لهذه القضية .. ويقاتلن ببساطة .. قضية بنات جنسهن .. وسط هذا البحر المتلاطم .. المتناقض (!!) .. هل استطعن عبر كل السنين الماضية من خلال تصدرهن لمجالات الإعلام والفن والإبداع والبحث العلمي أن يهزمن هذه الرؤية الطاغية للمرأة .. هل أستطعن " بناء " رأي عام قوي .. وممتد .. ويستشري (!!) .. هل أستطعن بصمودهن بإعتبارهن محترمات ومشرفات ومبدعات .. ويجب أن يكونوا كذلك وفقاً لرؤيتي .. دون إشادة (!!) .. هل إستطعن التصدي والتأثير من خلال مكانتهن ومواقعهن على مدى نصف قرن مثلاً .. لكل هذا الخلط والتوظيف والتضاد .. ويجمعن خيوط شخصية معاصرة سائدة للمرأة .. تقودها إلى مكانتها ودورها بلا تضيف وتنويع – وإنغماس .. في كل ما ذكرته !

●● هل لو تخيلنا أن "قاسم أمين" قد عاد فجأة إلى الحياة وقام برحلة سريعة لمشاهدة "نتائج" أفكاره ..

بدءاً من عروض قــنوات الفيديو كليب وحــفلات النوادي واستعراضات المنتديات وفكر الكرنفالات وأفكار "البنات" الصغيرات جيل المستقبل القــادم .. رحلة في نظرة مجتمع أقتصر في تطوره على الدش والكمبيوتر والمحمول وتوابــعهم .. ومازال يصر بكذب على معاملتها كأنثى .. بل أن تفاخر بــعض أبنائه بقــيمة النجاح في الفن والتســويق والإعلام والتسلية .. لا في الإختراع والإبــتكار يرتكز إلى توظيف جسدها .. واطلال قضيتها!

●● هل لو تواجد "قاسم أمين " الذي احــترم أفكاره بالفعل .. وشاهد ما ذكرته وغيره (!!) .. هل سيظل مدافعاً عن القــضية .. أم أنه ســيصاب بالحســرة والإكتئاب والشلل (!!) .. ويتخذ قــراراً بــالهجرة الفورية بــلا عودة .. الهجرة من مجتمع أغرقــته المشاكل الإقــتصادية والسياســية حــتى الثمالة . ومازال حتى الآن يترنح .. ولم يحسم مشكلته عبــر حلقات الحوار التاريخية عن .. الحجاب والسفور !! وهي حلقات .. الوحيدة المنوطة بكسرها وإزاحتها المرأة دون أن تنتظر مساعدة من المجتمع .. أو من

الرجل (!!) .. بل على الرجل والمجتمع أن يتقبلا "الشخصية" المطلوب فرضها في واقع .. يحتاجها بشدة (!!) .. مجتمع يستند في انطلاقته إلى الحجاب والسفور ولكن بالسير في وسط الشارع .. وفرض الإحترام بالإلتزام .. وقيمة العمل !

●● واقع فشل "الرجل" في إعادة صياغته .. وحل مشاكله .. وتوظيف قدراته .. وعلى المرأة أن تساعده وتساعد نفسها .. كما أعتادت تاريخياً .. إذا رغبت !!

حجاب.. الاستنارة!

الدعوات التي تحـــث المرأة على الحجاب يجب أن تكون مصحوبـــة بدعوتها إلى "التحرر " من سلبيتها في كل مكان و إطلاق كوامن الإبداع في أنشطتها لكي تشـــارك بـــدورها الأساســـي المؤثر في اليقـــظة المتحضرة !..

محور بارز .. له مقـولته – في قـضية الإلتزام أو عدم الإلتزام في مختلف المشكلات الحياة في عالمنا المعاصر ..

●● هذا المحـور يمكن النظر لامتداده من خلال السـواد الأعظم من المجتمعات العربـية على أنه يدخل في حـكم المفقـود .. خصوصاً في الموضوعات الدينية المتميزة بالحساسية والمثيرة – باستمرار – لوجهات النظر المتضاربة .

●● فليس من المعقول – أن تتخذ المرأة المسلمة من الحـجاب سـتاراً تحـمى بـه مفاتنها من عيون "المتلصصين" دون أن يكون الحجاب – في جوهره – وسيلة لتعزيز مكانة الإسلام .. والدعوة لتعاليمه .. وإصلاح إعوجاج مجتمع .. وتوثيـق "أصـول" وقيم التعامل السلوكي والإجتماعي .

●● فلا تقتصر وظيفته الدينية – أي الحجاب – على إشـــهار المرأة وتمســـكها بـــتعاليم دينها إلى درجة التجمد والإنزواء .. والوسوســـــة (!!) .. ومن ثم التعامل بسلبـــية بـــارزة الأعين من الســـير " جنب الحـــيط" في كل مكان .. مادام "الالتزام" العفيف في ذلك واضح أمام المطالبين والمراقبين والمحاسبين .. وضوح الشمس !

●● والقضية لا ترتبـــط هنا – فقـــط .. بـــوجوب الحجاب كحتمية إســـلامية يجب أن تلتزم بإتبـــاعها المرأة المسلمة .. ولست مطالباً هنا بالإشـــارة إلى آراء أو تفنيد ودحض لها حول شرعية الحجاب من عدمه .. فليســـت هذه القـــضية من وجهة نظري .. ويجب القفز فوق الجدل الدائر عبر عقـــود زمنية .. أو الإنحـــــياز لهذا أو ذاك .. وما المانع أن يكون الحجاب أمام دعاة "الحرية" هو أيضاً نوع من أنواع الحرية في الملبس .. وطالما قبـــل هؤلاء أن ترتدي المرأة ما ترتديه بالطريقـــة المعاصرة ! بإعتبـــاره يدخل في بند التحرر والإختيار وإحترام إرادة الفرد .. فلماذا لا تكون نفس "النظرة" للمرأة التي ارتـــدت

الحجاب طواعية وعن قـناعة وإختيار .. طالما أنه يحقق بهذا الشكل اتساقها النفسي ويستكمل التزامها الديني .. هذا "المنطق" وبطريقتهم .. لماذا لا يدخل بكل يسر وسلاسة في .. تلافيف عقولهم !!

●● وإذا كان "الإتفاق" هنا واضحاً .. ومحـدداً (!!) .. فلابد أن يتبقى .. ويتضح إيجابية المرأة المسلمة في إتخاذ الحجاب بإعتباره "فلسفة" في حياتها أيضاً لا تصيبها بـالخموذ والسلبـية .. بـل دافعاً لرؤية متوهجة لكي تصبح أكثر حرية في خلق شـخصية مميزة للمرأة العربية المسلمة في عالمنا المعاصر .

●● أن مشكلة المرأة وكما أشرت من قبـل تتلخص في العديد من العوامل والظروف المجتمعية التـي قامت بمصاحبتها – بإلحـاح مؤثر – منذ سـنواتها الأولى .. وتضافرت مجتمعة على تزييف وعيها .. وتشويه حاسة الإختيار عندها بين الصالح والطالح .. بين سفورها وفجورها .. وبين أن تكون مسـلمة تعرف بالقـطع ما يمليه عليه دينها وما يتطلبـه وضعها الإجتماعي – كمسلمة أسـماً وعنواناً – من واجبات وثيقة الصلة بكل ما هو نظيف وشرعي ..

●● فإذا كانت هناك قـــطاعات من المرأة وفتيات مؤمنات قد إخترن الحــجاب بمحــض إرادتهن في خضم ما تكابـــده إخواتهن في ظل هذا التخبـــط المجتمعي فإن هذا في حد ذاته يعتبر بمثابة انتصار كبير للمرأة ذاتها .. ونكسة للذين يخطئون بـــأرائهم الجانحة في حق دينهم وأنفسهم سواء كان هذا بقصد أو بـــنية متســرعة .. والذين يتنصلون من "تدعيم" وجود المرأة المحجبة في الساحة طالما أتجهت إلى ذلك .. وأختارت (!!). والذي يعتبر تواجدها بمثابة ظاهرة صحية ودعم أكبر لما ناديت بـــه من تواجد يفرض الأحـــترام على الآخرين .. ليس فقـــط في "الشكل" .. بل في قيمة ما تقدمه وتضيف .

●● وهو حـــجاب يتحـــول إلى قـــيمة متوهجة في المجتمع .. تضيف المرأة من خلاله وتنير وتشع .. وتبث الحـــيوية في كل قـــطاعات المجتمع .. ودافع يحرك الرجل إلى التفوق بإبراز أخلاقـــيات التعامل المطلوب منه بالضرورة .

●● حـــجاب لا يمنح البـــعض منهن "قـــوة" زائفة مستمدة من عقد نفسية تدفعها إلى تكفير الآخرين ..

وإظهار عناصر التجهم في كل حـــركة وتصرف .. ولا يجعلها كالببغاء تردد بلا توقـــف "محـــفوظات" تؤكد للآخرين بأنها قد دخلت "القـــالب" الذي يعطيها "صك" الإعتلاء للبرج العاجي .

●● حجاب يمنحها بشاشة وجه وملامح نورانية غير مفتعلة ولسان يقطر عذوبة في التعامل مع الآخريات .. يجذبهن بلا فروض وإملاء إلى "منطقة" الإلتزام والفاعلية المنضبطة حتى لو أعرضت بعضهن عن ارتداء الحجاب لأسباب منطقية أو لعوامل تخصهن

●● حجاب لا تتسربل بقـــيود شرنقـــته .. فتغطي رأســـها وعقـــلها معاً .. وتمتنع عن المشـــاركة في مجالاتها في مشاركات إجتماعية وأنشـــطة تعليمية وفاعليات ثقافية وسياسية .. بل تخوض وتتفاعل .. تطرح وتناقـــــش وتعترض وتفند آراء الآخرين .. بفكر ورؤية متجردة مستندة لوقائع وحقائق ..وليس بالضرورة مصطبغة بمناهج الطرح الإسلامي .

●● حجاب لا يحول إرادتها كإنسانة إلى مجرد "أداة" طيعة في أيدي جماعات وتجمعات .. تحركها وفقـــاً

لمخططاتها .. وتوظفها هي والأخريات لأهـداف ترنو لتحقيقها .. وإلا ما السبب في وقوف طالبـات بـكليات "تجارية" في الشـارع أمام نقابـة "علمية " للإحتجاج على أحداث وأمور نقابية .. دون أن تتحدد طبيعة العلاقة بين هذا .. وذاك !

●● حجاب الإستنارة .. يعني أن تقنع من ترتديه بأن الحجاب اختيار شخصي وديني .. لا يعني الحـجر على شـخصيتها وإرادتها .. ولا يعني الزج بـمن ارتدته عن فطرة وحسن نية في أطماع "تعبوية" .. لا يعني مطامع أو مغانم ومرتبات في شكل مساعدات (!!) .. أو هروب بارتدائه من البـداية لأسبـاب .. اقتصادية !

●● حجاب الإستنارة .. تجده داخل أحزاب الوطني والوفد والتجمع وغيرها .. ومن ترتديه تحـتد وتختلف بـعنف ..تتصادم وتناقـش بصلابـة .. يشـاركن في مؤتمرات ومنتديات وجلسـات عمل وأسواق الخدمات البيئية والإجتماعية .. تختلف مع بـعضهن أو تتفق .. ولكنهن أرتدين الحـجاب بمعرفتهن .. وظل وجودهن وألسنتهن وطموحـهن

قائماً وحيوياً .. دون أن يتحول الحجاب إلى وسـيلة لإرهاب الآخرين .. واعتلاء "تبة" التكفير والتجريم .. المهم أن يتحولن بـهذه "الصورة" .. وداخل هذه الأحـزاب والقـطاعات والتجمعات إلى "حقيقـة" إنسانية .. لا يتم الالتفات إلى ما ترتديه .. بل إلى ما تعمله وتطرحـه وتقـدمه مع اللاتي لم تلتزمن بالحـجاب .. أو إذا كانت بـعضهن .. في الطريق إليه!

●● حجاب الإستنارة .. لا يعني مغادرة الحـياة إلى "دنيا" أخرى .. أو يعني تحـت ضغوط وظروف ومشكلات خاصة – اتخاذ قرار فوري .. بإعتبـاره موقفاً واحتجاجاً ورفضاً .. بل الحجاب هو مشاركة حياتية مطلوبة من المرأة .. التي ترتدي الملابـس الرياضية الشرعية .. تلهج أنفاسـها .. وتتصبـب عرقاً في الملاعب والساحـات .. تتبـاري وتطمح وتنافس .. وتحقق أرقام قياسية وتشتبـك أيضاً في احتجاجات – على الحكام ومراقبي المبـاريات .. دون إهدار دمهم !!

●● حجاب الإستنارة .. لا يعني الإنسحاب من دائرة

الزميلات والصديقـات .. ولا يعني ترك الهوايات المفيدة والمسلية والبريئة ..ولا يعني ترك المشاركة في فرق الأندية .. لا يعني الانزواء والتقليل والإبتعاد .. والتقفيل (!!) .. بل حصانة وقوة وثقة أكبر تدفع بصاحبته إلى اقتحام مكانتها في مجتمع يريد دورها الإيجابي .. بشدة !!

الدين والوطن والمرأة ..
في التجربة الماليزية

(المرأة هي جزء رئيسي من التقدم الماليزي المذهل .. والمرأة المسلمة في عرف "مهاتير محمد" هي التي وقفت خلف المسلمين في المعارك المفتوحة بل وتحارب معهم وهي ٥٠% من المجتمع ولا يمكن ترك الـ ٥٠% في المنزل ..دون عمل !!)

●● كانت "المرأة" بإعتبارها طاقة رهيبـــة و ٥٠% من "قوة" المجتمع من المحاور الرئيسية لإطروحاته التي لاقــت الإعجاب .. ليس من منطلق إحـــكام ومتانة الطرح اللفظي (!!) .. بل عن رؤية وأفكار تحققت – هناك .. بواقعية !

●● وخرج عن النص – تحت أعين وموافقة الجميع .. وفوجيء بعضهم من أنصار الحرية المطلقـــة – بأفكاره المتعارضة .. فأنتزع من خلال محاضرتين في جامعة الإسكندرية – بهدوء وبساطة الطرح .. الإشادة والتصفيق !

●● لم يتطرق لقـضية "مثلث" الحـــرية والغرب والإســـلام بـــعيداً عن موضوع المحـــاضرتين إلا بضغط الأسئلة ..وإلحاح الإجابة .. استشـــعروا أن المسئول الماليزي السابـــق وصاحـــب التجربـــة المسجلة بإسمه في موسوعة "التقدم" سوف تحـــيل

كلماته القاعة الكبــرى إلى مؤتمر متكرر لجماعات المعارضة في الدول النامية .. فأكتشفوا أنه يخاطب من مرتكز تجربة واقــعية .. حقيقــة الممارســة المسئولة .. وإحترام وعى الناس !

●● لذلك .. نجحت وقــائع محــاضرتي الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابــق والذي أستطاع يقود بلاده إلى مصاف الدول المتقــدمة .. ســواء في "صلب" موضوع المحــاضرتين .. أو بمداعبات أسئلة الخروج على النص .. وعلى حــد تعبيره فإن رؤيتنا للحريات خاطئة .. لا توجد حرية مطلقة .. ولا يمكن للفرد أن يكون حــراً بــصورة مطلقــة لأن معنى ذلك هو الاعتداء على حقــــوق الآخرين .. ما يجب التركيز عليه هو الحـــــرية المسئولة للمجموعة لا الفرد .. لا تقول أن الحــرية أن نسمح بــأن يدخل شــخص ما إلى قــرية هادئة ومستقــرة وآمنة ليفتتح دار ســـينما تعرض أفلام الفحشاء وتؤيده المحكمة بإعتبار أن ذلك حق للفرد لأن معنى ذلك هو تحــول هذه القــرية بملامحـــها الراسخة .. إلى شيء آخر !

●● الرجل وهو يتعرض لقضية المثلث الشـــهير .. تحدث من منطلق تجربة بلاده .. قـــال أن مشـــاكل المسلمين تعود إلى أنهم يعددون أخطاء الآخرين في الغرب .. ويركزون على معاداة الغرب للإسلام .. هؤلاء لن يصححـــوا أخطائهم من أجل ارضائنا .. لابد أن نصحح ونصوب أنفسنا أولاً .. النجاح الذي حققـــته ماليزيا أنها أحـــترمت كل الأديان رغم كل التمايز الديني والعرقـــــي على أرضها .. لم تعتنق أيديولوجية محـــددة .. نهلت المعرفة واستقـــدمت الخبراء والتكنولوجيا من كل صوب وحدب .. لقـــد شهد تاريخ الإسلام معارك دامية حول التفســيرات التي أدخلت عليه بالفرقة والتشيع رغم أنه دين واحد لنبـــي واحـــد .. وإذا كانت هناك خلافات فعلينا أن نتقبلها ونهضمها ..

ونكون أكثر التحاماً .. بالتركيز على المشترك بيننا !

●● بهذا وبغيره .. يمكن أن نكون أقـــوياء .. ونهدد بـــصورتنا الآخرين ونخيف أعداءنا .. في ماليزيا هناك مجالات وهدايا وزيارات بـــين المســـلم

والمسيحي والبوذي وغيرهم .. تساموا وتعالوا فوق التمايز الديني والعرقي .. ركزوا على المقولة "المصرية" التي لم يستوردوها .. الدين لله والوطن للجميع(!!) ..

لقد تعلمنا الإسلام .. وتشربت عقولنا لا أعصابنا من القرآن الكريم على عدم الكراهية والتسامح والحب على قبول الآخر .. فرغم التعدد الذي تحفل به ماليزيا دينياً وعرقياً ولغوياً .. فليست هناك جرائم عرقية !

.. حسم مهاتير محمد قضية المرأة أيضاً .. فصفق له الرجال والفتيات والنساء الذين حظيت بهم الصالة الضخمة وسط تجمع من ١٧٠٠ مدعو من العلماء وأساتذة الجامعة بل وبعض الوزراء والشخصيات العامة الذين سعوا جميعاً للأستماع إلى صاحب التجربة الماليزية .. أكتشفوا أن المرأة هي جزء رئيسي من التقدم الماليزي المذهل .. المرأة المسلمة في عرف "مهاتير محمد" هي التي وقفت خلف المسلمين في المعارك المفتوحة بل وتحارب معهم وهي ٥٠% من المجتمع ولا يمكن

ترك الـــ ٥٠% في المنزل دون عمل !! لقد سمحت ماليزيا في سيمفونية التقدم للمرأة بأن تتقدم وتشارك في مناحي الحياة السياسة والهيئات بـــل والقـــوات المسلحة .. تعبير "المهاتير" يؤكد أن المجتمع بحاجة للمرأة وصاحـــب أدوار متعددة في الطفرة الضخمة التي تحققت .. ولا يمكن أن نكسر إمكانياتها ونقـــوم بنفيها .. إلى المطبخ !

مهاتير محـــمد فاجأ الحـــاضرين بـــأن ٦٠% في جامعات مصر من الفتيـــات .. والمـــرأة مكانهـــا الحقيقي أن تسير بجانب الرجل وتشـــارك في صنع مستقبل بلادهما معاً ..

لقد نجح المجتمع الماليزي في أن يخرج من الوعاء المغلق للمجتمع الزراعي الثابـــت والســـاكن إلى المجتمع الصناعي المذهل .. لم تكن قـــضيتهم في حلبات للحوار والجدال وبناء "الفرق " حول القضايا "الفكرية" العامة على مدى ٣٠ سنة .. أســـتطاعوا خلال نفس الفترة وأقل (!!) .. أن يحققوا المستحيل .. ويحيلوا صورة فلاح الأرز المتشبـــث بالشـــكل التقـــليدي للمزارع إلى صورة أخرى وهو يتابـــع

أجهزة "الروبوت" في قاعات المصانع الكبرى .. يتابع خطوط الإنتاج .. ويحدد الأخطاء. ويكتسب الخبرات والمهارات دون اكتفاء .. وتوقف !

التجربة الماليزية أستندت إلى قضية تغيير ثقافة القيم .. وتوظيفها في إدارة متمكنة "وفاهمة" ومسئولة تركز على أن تحقيق الفرد لذاته أساسه احترام حقوق وعقائد الآخرين .. والسير بجوارهم في طريق واحد .. لا تجمعهم مناقشات سوفسطائية .. ومجادلات بيزنطية لعشرات السنين .. تكرس التعصب .. وتشحن الأفئدة .. وتصيب مشاعر الأبناء والأحفاد بالوراثة .. بحساسية الاحتقان !

●● وتحت قيادة مهاتير محمد حققت ماليزيا معجزة الانتقال من "إقتصاد" زراعي تاريخي إلى اقتصاد يرتكز على التكنولوجيا المتطورة .. ولم تكن المسألة سهلة أمام تحديات سياسية وإقتصادية عديدة .. بل كان الهدف دعم ثقة المواطن الماليزي في قدرته على أنه صاحب أرض وحق في تطوير حاضره ومستقبله لا فرق بين رجل وامرأة .. ودون إحداث زلزال في تراثه الحضاري والثقافي ..

واللافت للنظر أن الدول التي حققت تقدماً مذهلاً مثل اليابان وماليزيا لم تفقد شخصيتها الحضارية .. بل كانت هناك نماذج قوامها توظيف "الإيمان" لتحقيق قدرات التقدم لا للتحزب وإشعال النفوس وبناء خنادق المواجهة – مع الذات .. والطرق والجسور من حولنا .. تتداعي وتنهار !

●● تركزت إهتمامات الماليزيين بقيادة مهاتير محمد على تكثيف جهودهم في القضايا التنموية وبخاصة تغيير نظرته لثقافة القيم السائدة لا إزالتها .. والكفر بمضمونها !! .. القضية الا تستغرقه وتبعده عن سعى المجتمع والأفراد وعن تحقيق الحياة الكريمة .. ولذلك أرتفع دخل الفرد من ٣٠٠ دولار سنوياً إلى ٩ آلاف دولار وانعكس ذلك على المستوى الإجتماعي والمعيشي للشعب الماليزي وإلا ظلوا كما هم وتعلو رؤوسهم عبارات ولافتات وقرارات ومحاضرات محورها – مؤازرة .. محدودي الدخل !

●● لقد أستجاب المواطن الماليزي .. الرجل والمرأة (!!) لفكر حكومته وتفاعل معها .. لأن

الحكومة كانت تملك الرغبة والإرادة .. والمواطن لديه الإستعداد إذا تواجد المناخ والمساعدة .. وهو ما تحقـــق في شبـــكة هائلة من مراكز التدريب .. وتخصص الفرد في أبسط الجزئيات .. بل إكسابـــه المزيد من المهارات وهو يمارس عمله الفعلـــي .. بعد تأهيله !

●● من مقومات " المناخ " الماليزي هو قدرة حكومته على تفادي الدخول في حـــروب ومعارك ونزاعات تستهلك اهتمامه في هدفه الأساسي نحو التنمية .. أو تصرف أنظاره وبرامجه وخططه في التركيز على الإنسان وقدراته .. والإنفتاح على تقنية وخبـــرات العالم .

.. والعمل "المستمر" على توفير المعدات ووســـائل الإتصال وبـــــــرامج التدريب المتميز في مجالات العلوم والرياضيات والإتصالات .. كان أســـــاس المناخ الذي ذكرته هو الحـــفاظ على وحـــدة الأمة وقوتها الكامنة تتجنب الصراعات الدينية والعرقـــية .. وتتجاوز ما يدفعها للدخول إلى مواجهات خارجية

الأرقام وحدها تتحدث عن معجزة ماليزية تحققت بالتركيز والفهم والتجارب والتخطيط – لأبناء شعب لا يتجاوز تعداده ٢٢ مليون نسمة وصل دخله القومي إلى ٢١٥ مليار دولار واحتل المرتبة الـ ١٧ في قائمة الدول الإقتصادية العظمى وانخفضت نسبة البطالة من ٣٥% إلى ٢% وانخفضت نسبة المواطنين تحت خط الفقر من ٥٢% إلى ٥% وبلغت نسبة الصادرات الصناعية ٨٥% من جملة الصادرات و ١٠% من السيارات التي تسير في شوارعها من إنتاج .. أبنائها!

لقد تحقق الرخاء والتطور للشعب الماليزي في ظل سيطرة قوى اقتصادية عالمية وبقدراته الذاتية دون إستعداد للإستماع إلى نصائح من الغرب الذي قد لا يسعد بوجود "شخصية" قادرة على أن تلفظ العرق والجنس والتعصب والفوارق اللغوية وتؤمن بالتقدم الإنساني بعيداً عن التفاف "خيوط" الإنحياز لها والتحزب حولها أمام العيون والضمائر .. وإرادة الحكومات والأفراد !

مهاتير محمد الذي حكم بلاده ٢٢ سنة متزوج من

طبيبة ولديهما ٧ أولاد وهو بهذا الرقم (!!) .. يؤكد عدم إيمانه بتنظيم الأسرة .. لأنه في ضوء تجربة بلاده أكد أنها "مشكلة" مفتعلة ولا أهمية لها طالما كانت هناك "عقول" قادرة على .. توظيف الأسرة !

عندما تنجح المرأة..
في عيون الآخرين !

(ليس المقــصود – هنا .. إبــراز عواطف الأنثى عندما تصل بالمقدرة والكفاءة للمناصب العليا .. أو إبداء الرأفة مع المقــصرين من موظفيها لدوافع إنســانية .. ولكن المشــاهد المرصودة في بعض القطاعات تؤكد أن شريحة كبــيرة من جنس المرأة تطبــق "نظرية" التطرف في الإدارة لمجرد الشعور بأن الواحدة منهن – في النهاية – تدخل في دائرة حــواء .. العرضة للقيل والقال .. والمتهمة ســلفاً بالتقــصير وعدم الكفاءة .. والطرف الأضعف في الصــراع .. إياه !)

●● على مقعدها الوثير – تجلس بتشنج .. محاطة بمفردات الديكور الفاخر .. بالصوت العالي وبلا مقدمات تتحـدث .. بـعظمة إصدار الأوامر .. وبتعالي توجيه التعليمات تبدأ "إطارات" المناقشـة مع كاتمي الغيظ والإنفجار من مرؤوسـيها .. وتنهي امتداد كلماتها المنتفخة .. بنظرات العيون الصقرية .. وكأنها من رأسها حتى أخمص قدمها في مواجهة تاريخية مع .. سيمفونية القدر !

●● ومع ذلك .. فإن الباروكة .. والإكسسوارات وطبقات البودرة والكريم ومستحضرات التجميل .. بل وتكوينها الفسـيولوجي .. البـارز (!!) .. يجزمون بأنها "ست" أولاً وأخيراً .. مهما حاولت "الهروب" بإدعاء التمكن .. أو تقمص المقدرة على اداء الدور وتخيل النجاح .. بأي شكل !

●● ولذلك – أيضاً ..

لا تنزعج عند رؤية هذه الحدة .. ومباشرة هذا الاحتدام .. لأن المديرة ووكيلة الوزارة ورئيسة القطاع والمسئولة الكبيرة - من وجهة نظرها .. يجب أن تصطبغ ملامح وجودها وشخصيتها بهذه "المهرجانات" الزاعقة الحادة .. وإلا خرجت دفة الأمور و"هيئة" الأشياء من أصابعها .. ولسانها وذهبت إلى غيرها !

●● ولأنها تعودت - من قبل .. أن تكون مرؤوسة .. واعتادت "الشخط والنطر" من جنس الرجل .. المتسلط الخشن (!!) ..وربما لغبائها وتبلدها وهامشية تكوينها .. فإنها تلجأ وبهذا المستوى إلى الاحتماء بمفردات "شكل" بعض الرجال في التعامل .. حتى لو تطرفت بطبيعتها .. وأسقطت - بالكامل - تكوينها الأنثوي المعتاد .. معتقدة بأن المنصب يريد ذلك .. والاحتفاظ بهيبة مكانتها تتطلب أكثر من ذلك . فلا غرابة وإندهاش .. بعد ذلك !

●● والمرأة خلال هذا المنصب أو في المواقع الإدارية العليا .. تتخلى في كثير من الأحيان عن "الإجتهاد" في تكوين شخصية إدارية متميزة .. بل

تلجأ إلى هذا "التطبيق" الحرفي .. لكي تثبت لأول وهلة – وبمركب نقص أنثوي – أن حواء قادرة على الحكم والإدارة .. والتطويع الوظيفي .. وإلهاب العقول .. ولو كانت الصورة النهائية لها – مشوهة ومكروهة .. حتى لو وصلت إلى هذا المنصب بإستراتيجية مغايرة لذلك .. بالمرة !

●● والمرأة .. ترتكب أكبر الأخطاء في قضية بنات جنسها – من هنا :. تتناسى طبيعتها .. وتسارع بارتداء "هيئة" الوظيفة العليا .. وممارسة مقتضيات – وجود الرجل .. من وجهة نظرها ! .. والذي تترجمه بعيون إرهابية متسلطة على كل من تحدثه .. أو حواجب غير مستقرة وفي إنتفاضة مستمرة .. لكي تثبت مصداقية الثرثرة (!!) .. أو وهي تعيش "عقدة" التوازن في صراعها الأبدي مع الرجل من أجل المساواة في كل شيء .. مؤمنة بأن "معركة" التعامل اليومي في يديها .. ولسانها .. وقسماتها .. على طول الخط !

●● وليس المقصود – هنا .. إبراز عواطف الأنثى عندما تصل بالمقدرة والكفاءة للمناصب العليا .. أو

إبـــداء الرأفة مع المقــصرين من موظفيها لدوافع إنســانية .. ولكن المشــاهد المرصودة في بــعض القطاعات تؤكد أن شريحة كبـيرة من جنس المرأة تطبق "نظرية" التطرف في الادارة لمجرد الشــعور بأن الواحــدة منهن – في النهاية – تدخل في دائرة حواء .. العرضة للقيل والقــال .. والمتهمة ســلفاً بالتقــصير وعدم الكفاءة .. والطرف الأضعف في الصراع .. إياهَ !

●● وقدرة المرأة على الثقة بنفسها وثقافتها وسابقة خبــراتها المهنية .. إذا كانت موجودة (!!) .. وعدم إنغماسها مع مرور الوقــت في تلال المســئوليات وركام القرارات بعيداً عن إيجاد "فلسفة" متميزة في التعامل اليومي .. تجمع بين تكوينها كإنســانة ذات عقل وثقافة ومقدرة .. وامرأة مؤمنة بــأنها نصف المجتمع بــلا صراخ ولافتات (!!) .. وإستيعابــها لمقــتضيات الوظيفة التي هي جهد وعرق والتزام وإضافة .. وإكتساب الإحترام والمصداقية بعيداً عن أوهام الضغط والإكراه .. بالعافية !!

●● هذا كله – وغيره .. يعني نجاحــاً مكملاً للمرأة

التي تمارس هذه الفلسفة بالفعل وبثقة .. وتسعى بلا افتعال للنجاح في عيون الآخرين .. بلا تطرف !

** ولذلك نجحت.- خارج وداخل الوظيفة .. أسماء سبق أن ذكرتها .. بقدراتها الفنية والإبداعية والمهنية والتخصصية والمهارية .. وحطمت كل واحدة في مجالها "النظرة" التقليدية للفوارق بين الرجل والمرأة ..

●● وأصبح مقياس التقدير لهن ما هو مرتبط فقط بالعطاء والإبداع والشخصية والتميز .. وقيمة الواحدة منهن تعادل من وجهة نظري – ولا مؤاخذة .. عشرات الرجال !

حواء .. هذا المخلوق البديع !

(نماذج منها أستوعبت وفهمت - منذ البداية .. فحددت الطريق .. وصقلت قدراتها .. وانطلقت لتتجاوز أحياناً الرجال في القيمة والقامة في مواقع ومجالات معينة .. فأصبحت علامة ونجمة .. ومرجع ! .. رغم أنها تنوء بأعباء "وأثقال" يومية لا يمكن أن يتحملها .. الرجل !)

في الأعباء – والتحمل ..
في التكوين – والمقدرة ..
في العزيمة – والحماس ..
في تحديد الهدف – والاتجاه .

•• قدراتها بلا حدود .. إذا أقتنعت بأنها تحتاج إلى إعادة "توظيف" وعن قناعة ذاتية بأن إمكانياتها تتجاوز "معدلات" الرجل .. إذا رغبت !

●● وسوف تصبح قدرات المرأة في الهواء الطلق إذا أستسلمت لحواف إطار وجودها المجتمعي .. فهي تملك أصابع حرة الحركة .. وقدمين مهيأتين للسير .. وعينين تبصران بلا حواجز ...وصاحبة عقلية "كيد" لا تتوقف – إذا لزم الأمر – في إنطلاق مخططاتها ..

ولاتكل من تحديد معالم الهدف الشخصي .. إذا صممت !

●● نماذج منها أستوعبت وفهمت – منذ البداية .. فحددت الطريق .. وصقلت قدراتها .. وانطلقت لتتجاوز أحياناً الرجال في القيمة والقامة .. في مواقع ومجالات معينة .. فأصبحت علامة ونجمة ..ومرجع ! رغم أنها تنوء بأعباء و"أثقال" يومية لا يمكن أن يتحملها .. الرجل !

●● مرت مثل الرجل بسنوات الدراسة .. وتتفاخر بورقة الليسانس والبكالوريوس .. أنتظمت في طوابير القوى العاملة والأمن الغذائي .. تتشاجر في الأماكن العامة .. وتضحك بصوت عال .. تتصفح الصحف .. وتلتهم أزياء كل مجلة .. تدير بالريموت قنوات الفضائيات .. تؤدي عملها أحياناً بطريقة التواكل والإختصار والإقتصار .. لا يقطع ذلك إلا اجازات الحمل والولادة والرضاعة والحضانة .. بكل معاناتها .. وهذا واقع القطاع الأعرض للمرأة المصرية .. بملامح مختصرة !

●● ولا يمكن أن ينتقد البعض مناقشة "حرية" المرأة وسط هذا الزحام وغلواء الأسعار ومشاكل لمجتمع يختنق .. ولايمكن في نفس الوقت أن ينكروا أن نفس

المرأة أصبحـــت جزءاً من نفس "ملامح" المجتمع .. وان ظلت قدراتها والنظرة لها في الغالب تحتاج إلى .. إعادة نظر ! .. وإن كانت في المنظور العام مـــن وجهة نظري فأن مستوى وحجم وطبـــيعة وجودها واداءها يتعدى "معدلات" .. الرجل !

●● هي نفس المرأة .. التي نطالبها .. ونســـخر من بعضهن !

●● التي تقفز من سريرها في الصبـــاح البـــاكر .. وكأنها مفزوعة !

●● تسارع إلى إيقاظ "الآخرين" .. واعداد واجباتهم .. وسندوتشاتهم .. والاشراف على تجهيز الصغار منهم لمدرسة أو رحلة أو مهمة

●● وهي التي تسـنـــارع – في نفس التوقـــيت – إلى المطبـــخ لإعداد "مقـــــدمات" غذاء اليوم .. وتنهي "أوضاع" أطباق متراكمة من الأمس .. بمخلفاتها !

.. وهي التي تلهث إلى الحـــمام ودولاب الملابـــس وتجري مكالمات سريعة .. وتقـــفز داخل ملابســـها ومكياجها .. في ميكانيكية محفوظة !

●● وهي التي تزاحـــــم في مترو وأتوبيســــات

وميكروبــــاصات حــــتى تصل إلى أماكن عملها لتواصل المنوطة بتأديته بأمانة وإتقان .. أو تنخرط مع زميلاتها في جلسات النميمة وإدارة دفة المعارك الشخصية وإقـــامة "ندوات" حـــول وقـــائع الزواج والطلاق أو إبداء الدهشة والإنزعاج والإعجاب من وقائع .. مسلسلات الأمس !

●● وهي التي لزمت منزلها في "اجازة" من العمـــل من أجل الولادة وتوابعها بـــكل ما تحـــمل من معاناة وألم وتحمل مع مواكبة للأشغال المنزلية .. في نفس الوقت !

●● وهي التي تعود من عملها وكأنها في "ماراثون" لإعداد الطعام وشراء المستلزمات وتهيئة جلســـات الدروس الخصوصية ومباشـــــــــرة كافة صنوف الأعمال المنزلية .. ومباشرة "حقوق" الزوج بحـــلو الكلام .. وبشاشة الوجه !

●● وهي المهتمة – أكثر .. بالواجبـــات الإجتماعية .. بعد هذا كله (!!) .. من سؤال ومجاملة وزيارة .. واستقبال زيارات !

●● وهي التي .. وهي .. وهي .. وهي !!

●● هذا المخلوق البديع .. في الحياة المصرية !! بما طرحته أعلاه أو بعضه .. هي " ماكينة " للاداء اليومي الرهيب .. قد ينسى الرجل الحاصل على نفس الوظيفة والشهادة ..مثلها (!!) .. هذه الملامح الموجودة تقريباً في كل بيت مصري .. عدا حفنة من السيدات التي يختلف "جدول" حياتهن اليومي لأسباب اجتماعية .. ومالية ! .. ولكن من يساعدهن في كل ما ذكرته من أعباء وثقل وتحمل خادمات ومربيات ومديرات منزل .. من " نوع " المرأة !

●● الغريب .. أن جانب كبير من المرأة ممن تنطبق عليهن هذه الملامح ليست من الموظفات العاديات بل مع ما يتحملن (!!) استطعن تحقيق " معادلة " النجاح والتعبير عن ذواتهن بلا كلل أو زوغان أو إهدار الطاقات في النميمة والاغتياب .. بل تفنى الواحدة نفسها في عملها وكأنها لم تعمل في منزلها قبل الحضور ولن تعمل به ما ذكرته بعد الإنصراف .. وفي كل الأحوال تتصدر .. وتنجح !

●● هذا "النوع" من المرأة .. لا يمكن للرجل أن يتخيل يوماً ما أن يتولى مكانها ويقوم بعملية "بدل" ..

للأدوار!

●● الرجل يمكن أن يتــرك أو يهجــر المنــزل .. فيستمر الدور كما هو .. وتبقــى ديناميكية الحــياة اليومية في البــيت كما هي .. وتظل طاقــة المرأة مشتعلة بــلا إخماد على مدار ٢٤ ســاعة .. أما إذا هجرت أو غضبــت المرأة وتركت له "دولة" المكان فإنه يتحول إلى .. جحيم!

●● هذا النوع من "المرأة" مع كل الفاعليات المطلوبة منها والتي ذكرتها في بــداية هذا الكتاب .. هي التي يمكن أن تشارك بقــدراتها ووعيها في إعادة صياغة مجتمع بأكمله .. وتوثيق أعم وأشمل لشخصية المرأة المعاصرة .. ولا تنتفي "مســئولية" نوع آخر من المرأة يتحلى بنفس المقــومات والقــدرات .. ولكنه أستســلم وخنع لكافة مخططات تزييف بــصيرتها بإحــكام وإتقــان .. لتنغمس في ســلوكيات إهدار وجودها الإنساني . وهي قــادرة على فض أســتار العتمة .. إذا قــرأت وأستوعبــت وصممت .. ورغبت!!

صانعة الاجيال .. تتحدى هؤلاء !

الشركات العالمية التي تقوم بتسويق هذا النوع من المنتجات الصناعية تهتم بالربح وتجتهد عن طريق خبرائها المتخصصين في الدعاية والتسويق "لإيجاد" الإقبال المستمر على ما تصنعه .. بصرف النظر عما تسببه من أشكالات وأضرار مستغلة في ذلك ركب الحضارة ومادية العصر الشديد .. وضيق وقت المرأة !

●● وهبـــها الخالق – عز وجل – النعمة كلها ، من أجل وليدها .. ورغم ذلك فهي لا تحترم .. أمومتها!

●● أودع في صدرها أوضح "أســرار" الطبـيعة الالهية ورغم ذلك فهي تسعى من تلقــاء نفســها .. وتتهافت على امتلاك الطبـيعة الصناعية .. بــل وتحــــرص على "تخزين" المزيد من منتجاتها .. وتتبرم – بالشكوى – في بـعض الأحـيان .. من نقصانها !

●● ان المرأة كثيراً ما تتأثر ببــعض الأســـاليب "الفوســـفورية" الواردة من الخارج .. فتدفعها في التعامل مع طفلهـا .. وكأنهـا آلــة .. لا تنتظـم موتوراتها ، وتهدر تروسها .. إلا بــنوع معين من "الزيوت" .. وليس بـــغيره !.. وفيما عدا ذلك فهو يعتبر خارجاً عن "موضة" وإيقاع العصر المتمدين .. حتى لو أدى هذا إلى فقد الوليد لكثير مما يحتاجه جسمه .. وتتطلبه أحاسيسه الغضة .. من "شروط" غذائية ونفسية وعاطفية !

●● ان الإلتجاء الواسع من قبل المرأة المصرية بل والعربــية إلى كل ما هو صناعي لتغذية طفلها ..

والعربية إلى كل ما هو صناعي لتغذية طفلها .. يتبع أساساً من الاضمحلال الشـــديد في المواد الإعلامية التي تتعرض لإبـــراز مزايا الرضاعة الطبـــيعية وفوائدها والإعتماد - فقــــــــط - على الجرائد والتليفزيون في مواجهة " الإفـــرازات " المنظمـــة للدعاية الضخمة التي تتولاها الشـــركات المنتجة .. التي تصور - بأساليب دعائية خلابة ومبـــتكرة - سهولة وبساطة وفوائد التغذية الصناعية للرضيع .. ويرجع كذلك - كتحصيل حـــاصل - إلى مواكبـــة النهضة الشاملة التي أخرجت حواء من منزلها إلى الشارع العملي .. لتعمل وتحتك وتعترك و .. تنوء بالمشاكل والإنفعالات والمتطلبات !

●● وهو ما يدفع المرأة .. تحـــــت ضغط الدعاية المكثفة لهذه المنتجات .. إلى اتبـــاع "الاستســـهال" ناسية في ذلك السر المكنون في حـــليب صدرها .. ومتغافلة عن دورها كأم .. عليها حقـــوق لرضيعها .. قبل أن يكون الخوف من ترهل الصدر ومقاييس الجسم وضيق الوقـــت في خضم آلية ومادية العصر .. آية حقوق أخرى !

●● وقد ذهبت الحكومات ووزارات الصحة وكبار الاخصائيين في هذا المجال إلى التحذير من خطورة اتباع هذه "الطريقة" بعد أن أصبح التمسك برضاعة لبن ثدي الأم في تلاشي .. مستمرو دائم !.. وبعد أن دخلت معلبات الرضاعة الصناعية حلبة الميدان لتتصارع مع التغذية المتكاملة - والمطلوبة - للطفل وبدت في حالة "تفوق" بالمشاكل الصحية التي تتميز بخلقها للصغار .

فمن المعروف أن الفترة الحرجة في حياة الطفل تتبلور في الأشهر الأولى لخروجه من رحم الأم حيث "الأمن" الكامل والمستتب .. وعندما يخرج فهو يواجه متطلبات معينة ، لا يستطيع بقدراته المحدودة جداً .. أن يقوم بتأديتها لنفسه !

●● وكثير من الدراسات التي أجريت على دول العالم الثالث ودول أوروبا التي تستخدم الألبان الصناعية في تغذية أطفالها ، أوضحت أمراضاً عديدة منها نوبات الإسهال وضيق التنفس والإلتهابات الفيروسية .. يعاني منها من يرضع من هذه الألبان الصناعية .. بل وتتعدى مرحلة

الرضاعة إلى "الملازمة" المستقبلية لصحته مثل الإصابة بنوع معين من الحساسية تجاه أغذية معينة ..

●● وإذا أضفنا إلى هذا كله " ميكانيزم" الرضاعة في حد ذاته بمنأى عن المكونات الغذائية في فائدتها وجدواها .. فأننا سنجد الإطار القوي لصحة الطفل النفسية ، لأن الإلتصاق الحار بأمه والإتصال المستمر بينهما ورعايتها وإهتمامها الدائم بشخصه وكيانه و .. غذائه .. يولد في أعماقه الشعور "بالحماية" في العالم الغريب الوافد على ربوعه .. ويخلق داخله الشعور بالدفء والحنان .. وهي كلها أشياء أساسية وضرورية لنمو الطفل في حالة سوية من جميع النواحي .. الجسدية والعاطفية والنفسية .

●● والشركات العالمية التي تقوم بتسويق هذا النوع من المنتجات الصناعية لا تهتم كثيراً بهذه النواحي بقدر ما تهتم بالربح وتجتهد عن طريق خبرائها المتخصصين في الدعاية والتسويق في "إيجاد" الإقبال المستمر على ما تصنعه .. بصرف النظر عما تسببه من إشكالات وإضرار .. مستغلة في ذلك

ركب الحضارة ومادية العصر الشديد وضيق وقت المرأة بسبب خروجها إلى جميع مجالات الحياة العملية .. رغم أن البانها "الخرافية" ما هي إلا عبارة عن لبن بقر مخفف ومعد بطريق معينة .. تساندها – على الجانب الآخر – طرق إبتزازية براقة ومستغلة لظرف التحديث والتحضر ، تعمل على "إدخال" فكرة استخدام اللبن الطبيعي في ذهن الأم في بند .. الإرهاق الجسمي والوقتي . بينما تبسط منتجاتها – بالإبراز والدعابة والإلحاح – في ساحة الواقع المعاصر ..

●● كل هذه المآسي يمكن تلافيها إذا تواجدت التوعية .. الشاملة .. المنظمة .. والتي تجعل المرأة في "حالة" اقتناع كامل بالمخزن .. الطبيعي .. الصحي .. الموجود في صدرها .. والذي وهبها الله – سبحانه وتعالى – إياه .. دون أن تكترث بأهميته .. وتشعر بفائدته .. وتستشعر بالخطر الداهم لوليدها .. إذا لجأت إلى "بديل" .. تعتقد أنه سوف يقوم بعمله .. خير قيام !

وإليها .. نعود !

●● اشهرت قوانين الطوارىء في حياتها .. فرضت الحراسة الشديدة على تحركاتها وتأمين الاتجاهات في مسارها .. حين استشعرت مجيئك .. اصابها الغثيان وتملكها القيء مرة واثنتين ومائة .. تحاملت على اعصابها .. اختزنت الدموع وعضت النواجذ امتصت ضرباتك العشوائية بصمت .. وانت – بكامل حريتك – تجول وتصول .. في احشائها .. تناثرت الصرخات من حواف لسانها تأوهت باستكانة .. تقلبت كفريسة نائحة على جمر لا يرحم .. زفرت باستماتة .. حتى شرفت للدنيا بصرخة – مظلومة – متواضعة وكان ما حدث طوال ٩ أشهر .. لم يحدث !

سهرت – بكيانها – ليالى الشتاء وشهدت بعيون

مكدودة نسمات فجر الصيف .. ابـتلعت (تطرفك) بمختلف صوره لكي ترضى نهمك ومع ذلك لم تعتقـلك إلا في حـنو صدرها .. تدغدغ اطرافك .. تتحول إلى (بلياتشو) يستجدي ابتسـامتك ويخشـى صراخك تسارع باعداد المتاريس القطنية وتوابعها لمواجهة (سيولة) مقالبك .. غير الظريفة !!

●● نومك واستيقاظك .. جوعك وشبعك .. كسـائك وغطائك .. نجاحك ورسوبك .. حضورك وتأخرك .. غضبك ورضائك .. صحتك ومرضك .. شبابك ورجولتك .. ضياعك واستقرارك ..كل هذا بمثابـة (موضوعات) استراتيجية تحـتل تفكيرها وتشـغل بالها وتستنزف اعصابـها وترفع ضغط دمها .. في النهاية !!

●● وفي النهاية أيضاً .. تستغرقك مباريات الاهلي والزمالك وأفلام عادل امام وايقـاعات مايكل جاكسون .. او تخطفك فتاة - بهدوء وانسيابية - إلى (واحة) الزوجية .. أو تغرق بـذاتك في هموم العمل وتوابـعه الإضافية .. ومع ذلك - فأنت ترسـخ في اعماقها .. وبعدد الشعيرات البـيضاء في رأسـها

تلاحقك دعواتها التوفيقية .. في دنياك الاخرى ! ..
هذا هو (المخلوق البـــديع) الذي تذهب إليه أينما كان لتقدم له ابتسامة او زهرة - على الاقـــل - إذا كانت غلواء الأسعار قد استنزفت جيوبك ..
فلقـــد اعتادت أن تعطي وفي مشـــاعرها (انتظار) واحدة .. بشاشة اطلالتك !

•• عندما تصرخ حواء :
زوجي .. بخيل !!

●● قبل أن يتقدم إلى شخصها - على حد قــوله - لم يكن هناك حب أو سابــق معرفة .. وافق أهلها على الفور .. كانت لمقوماته ومقتنياته اليد الطولى .. في فرض سياسة "الأمر" الواقع .. رضخت - في النهاية - تحت إلحاح أسرتها .. التي أقتنعت بأن هذا هو .. الفارس المغوار .. الشهم و .. الميســور ! ولتذهب بقية "الأشياء" الأخرى إلى الجحيم ! ولتأتي "التزكية" الجماعية على أطباق ذهبية .. سوف يحــضرها .. هو !

●● يكفي أنه يتحـــــدث .. ووراء ظهره الأرصدة والممتلكات .. المتناثرة هنا وهناك ! يكفي اعجابــه الشديد بثقافتها وأخلاقــها وجمالها .. ونجاح والدها رجل الأعمال المعروف .. ! تكفي أحـــــــاديث

الصالونات وجلسات النوادي .. التي تشير إلى شخصيته العصامية ، واجتهاداته البطولية .. في تحصيل النقود وتشييد المباني وزراعة الأفدنة ! ولتذهب – مرة أخرى – كافة حقوقها بعيداً عن "رؤية" سلوكياته .. ومعاشرة طباعه .. وتقييم شخصيته .. الفذة !

●● عاشت معه وعايشت .. لم تضطر – قبلها – إلى أن تجالسه .. كما كانت تسمع من زميلاتها في الجامعة .. لتضع "تفاصيل" المسيرة .. وتخطط لدقائق المستقبل وتستعرض الأحلام والأمنيات .. فقد أصيبت بحالة "الحرمان" من المناقشة .. التي كان أقرانها المرتبطون – عن حب وتفاهم – يزاولونها رغم صعوبة الحياة ومشقة التكاليف ! لم تضطر إلى هذا .. ولم تندفع إلى ذاك .. لأنه – بلسان الكل – عريس لا يتكرر .. وزوج يصعب الحصول عليه في هذه الأيام الغابرة – فهو "جاهز" ومضمون وليس على استعداد للدخول في تناول هذه "الامور" التافهة .. لأنه سيلبي كل "الطلبات" التي يأمر بها .. كبير العائلة .. فالزواج – في عرفه – نصف العمل ، لا

الدين .. وخير البر عاجله !!

●● هكذا دخل عليهم .. بالصيت والتجاوب ورصد المحاسن والصفات .. وهكذا خرج بـــها .. لتعيش – بعد ذلك – بين أصابعه ! ولتكتشـــف مع مرور الأيام وتوالي الأسابيع .. انها قد اصبحت شبيهة بضحـــايا الغش والخداع .. في الأفلام العربـــية . التي تكرهها !! فالعصامية ما هي إلا تدقـــــيق في كل صغيرة وكبـــيرة تمس .. أرصدته المتراكمة .. وكفاحــــه المشـــهور ، ما هو إلا امتياز وتفوق في "حســـاب" مصروفاتها المتواضعة وطلباتها اليومية البسيطة .. وتكالبه على الزواج بها، والظفر .. بثقافتها وأخلاقها !! .. لا تخرج عن أطماع – مستقبـــلية – في ثروة والدها .. لأنها الصغيرة المدللة ..

●● إلى هنا .. لا أعرف ، إذا كانت قد دخلت معه – بعد التنقـــيب والاكتشـــاف – في دوامات الصراع والعراك .. من أجل الحـــــفاظ على مركز كرامتها ومحـــور انوثتها .. ولا أعلم ، إذا كان أهلها قـــــد سارعوا .. بنفس "الحمية" الأولية .. لفض الاشتباك .. إلى مالا نهاية .. لعودة أطرافـــه ! ولا ادرك مـــا

انتهت إليه هذه "الحدوتة" التي تثير كل امرأة .. ولكن الذي أعرفه جيداً عن حــواء .. ان ما تكرهه في كل رجل ، لا يساوي هذا "الكم" الشديد من البغض .. لو أظهر بخله في أبسط ضروريات المرأة .. أو فضح نفسه ، بمحاولات الحساب والتدقيق – المبالغ فيه – في أتفه الشئون والأمور المادية .. لأنه ما من شيء يزعج المرأة، ويصيب عواطفها بالكبت والإحباط .. ويجعلها تفكر جدياً في الانفصال .. الا احساســـها الدائم بـــــــــأن زوجها "ينتمي" إلى عالم غريب ، ومستهجن بعيداً عن حسن المعاشرة وتقدير "مكانة" الزوجة والحفاظ المستمر على مشاعرها المرهفة .. عالم أساسه المادة وقـوامه الحـرص على أشـياء تتضاءل أمام "نظرة" حواء للرجل .. على أنه الزوج وشريك العمر والرحلة ووالد الابن والابنة .

●● هذا الاحســـاس قـد يدفعها .. إلى الخروج من سجنه وزنزانتها .. لتبحـث من جديد عن "رجل" .. يعي ويفهم ويقدر .. حتى لو كان الارتباط بــه على أطباق بلاستيك .. لن يحضرها .. هو !

تجربة (نسائية) .. مرشحة للاستمرار !

ليست معركة مقصورة على النساء .. وليست مواجهة منوطة بالجهود النسائية .. وليست امتيازاً تحققه سيدات أحد الاحياء .. ولكن ما حدث يعني أننا وصلنا جميعاً إلى درجة "الفرجة" لترقب .. الفرج ! هذا الإنبهار الغريب .. وهذا "الانتظار" لما يفعله تجمع غير حكومي وغير حزبي .. وغير موجه .. لمجموعة سيدات – لهن كل الاحترام .. يعني اننا نعيش "حالة" انتظار نتيجة القاء اي حجر (!!) في البحيرة الراكدة .. الكبيرة !!

ولا يعني هذا تقليلاً لتلك "الانتفاضة النسائية" في قبالة الجزارين في ارقى احياء مصر .. او تثبيطاً لهمة الجنس اللطيف . أو نوعاً من "النقورة" الصحفية التي لا لزوم لها .. ولكن التجربة اعجبتني بعد طول

رقاد .. واعتبرها تطبيقاً حياً وواقـعياً .. حـتى لو كانت محدودة .. بحي واحد !

●● والمثير هنا .. ان السيدات - بحسن نية - كشفن بالتجربـة الوليدة وذات الاصل الأوروبـي (!!) تقاعس الجهود الرسمية في إيقاف جشع الجزارين .. وتكور السادة "المشرفين" على الاحـزاب في اركان جرائدهم للهجوم والدفاع والابتزاز اللفظي .. أيضاً (!!) .. فأصبحت كل الاحزاب جرائد بـصوت عال .. اما عن التواجد في الشارع والاحتكاك الحقيقـي لكوادر كل حـزب بمشـاكل المواطنين .. وتبـني تجارب المواجهة .. وايجاد الالتفاف الشعبي حـول "الهدف" لا " الالفاظ العنترية" فقد اتفقنا جميعاً على أن نتركها لربات البيوت !!

●● أن اخطر حزب في مصر حـالياً هو من ينزل للشارع لا لإثارته .. أو لشحن انفعالاته تجاه أي وكل حكومة .. او لكسب "اصوات" بالهجوم والتشويه .. ثم العودة بعد الاختلاج الحنجري إلى مقار الاحزاب .. بأوداج منتفخة !!

ان الخطورة تحققت بمجموعة سـيدات .. لا يملكن

برنامج حزب وليس لهن مقر .. ولا اطماع سياسية أو تموينية (!!) ولا تحركهن رغبة أو نزوة سلطوية .. بل مجموعة مستنيرة من السيدات تجمعن لمراقبة الاسعار والانحياز للمستهلك بلا قرار ودعاية .

●● ومن يقرأ تاريخ الأحزاب في العالم .. سيعرف أن الحزب القوي .. هو من يلتف انفاره حوله .. ويتسعون .. ويتوثقون دون خطب ومناورات .. ولكن تدفعهم مصلحة وهدف وتواجد حقيقي في الشارع .. يلمسه ويتعاطف معه .. ويشجعه .. وينضم إليه .. كل الناس !!

●● لقد اعطت تجربة سيدات المعادي .. بحدود تجربتهن ونطاق الحي .. درساً عميقاً للقائمين "والمشتركين" في الأحزاب .. ولقنت للتواجد الحزبي الهامشي درساً واقعياً لمعايشة المشاكل دون سفسطة .. واسقطت فلسفة اللافتات والمنشورات والسرادقات !

لقد تمت هذه "التجربة" منذ سنوات بإرادة ووعي المرأة .. وكان من الممكن أن تستمر وتمتد ..

لتضاف إلى كل ما ذكرته من قبل قيمة تواجد المرأة وتأثيرها .. وهي تجربة مرشحة للاستمرار والتوسع .. إذا ارادت ! .

نظرية .. قالوا !

(أصحاب نظرية "قــالوا" .. بــكل ما تحمل من تناقــضات وكذب وافتراء يركبون موجة .. ويوجهون الرادار واعصاب شخص .. ويهدمون قــيماً للإخاء والزمالة والجيــرة لأهــداف شخصية .. أو لإبــعاد الأعين عن ما يفعلونه من مصائب .. وانحرافات)

●● تقافزت الاهرامات في صحراء مصر الغربية .. وارتفعت صيحات أبو الهول إعتراضاً على التلوث والضجيج .. وتركت تماثيل البر الغربي في الاقصر مواضعها في الصخور .. وشاركت - بحماس - أمام معبد حتشبسوت في مباريات .. لدورة سداسية!!

●● وإذا سألت من قال هذا .. قالوا لك : هذا هو الذي حصل وصدق فهذه حقيقة اللي حصل .. من أخبرك .. الرد النهائي بعد الاندهاشات والتساؤلات المذعورة : قالوا!!

●● ونظرية "قالوا" في حياتنا المصرية .. كفيلة بما تحمل من شروح .. وألفاظ التأكيد .. والحماس الشديد في "نقل" معلومات بأن تجعل الأهرامات وتوابعها تفعل هذه الافتراءات الساخرة .. وتدفع سامعها إلى التصديق والإضافة (!!) مثل أن الفائز بالدورة السداسية سوف يحمل .. برج القاهرة !!.

ولا أعرف حتى الآن – قياساً على ما تقـــدم .. إلا أن حياتنا .. داخل المكاتب والأندية .. المؤسســـات والنقابات .. الجلسات العائلية والريفية .. عبارة عن "مباريات" يومية تافهة لممارسة نظرية "قـــالوا" من المتعلمين والقـياديين .. من البســطاء والجهلاء .. أخبر أحدهم بأن "عبد السميع" يقول عنه دون مناسبة أو سبـــب صفة مرذولة أو تصرف غير حقيقـــي .. عندئذ يحمر الوجه .. وينطلق اللسان بشتائم مضادة .. ويتم إعلان الحرب المتبـــادلة .. وينضم إلى كل منهما أنصار نظرية .. قالوا !

●● ومن الممكن – وقتها – أن يكون عبد السميع في غرفة الانعاش – فاقـــد النطق .. ولكنه قـــال (!!) .. ولكن الرجل لا يكلم أحد .. ومحـــترم .. ولم يتطاول على بشر يوماً ما .. أيوه قال (!!) .. طب إيه رأيكم متى قـــال هذا السبـــــاب –أول أمس .. خذوا هذه المفاجأة .. لقد توفي عبد السميع في بلدته منذ ٤ أيام ولم نعرفه .. برضه قال (!!) .

والغريب أن "السوس" الخاص بـــهذه النظرية .. والمسألة ليست تافهة .. يقف وراء ممارساته ..

الغالبية العظمى من الخلافات .. بحـيث أن درجة "النضج" لدى البعض الذين تسلحـوا بـالعلم ونالوا غالبية الثقافة .. وصالوا وجالوا في بلاد الفرنجة .. سـرعان ما يقـعون فرائس لبـعض الموتورين وأصحاب المصالح والابطال المحـترفين لنظرية قالوا .. بكل ما تحمل من تناقـضات وكذب وإفتراء .. يركبـون موجة .. ويوجهون رادار وأعصاب شخص .. ويهدمون قـيماً للاخاء والزمالة والجيرة لاهداف شخصية .. أو لابعاد الاعين عن ما يفعلونه من مصائب .. وإنحرافات !

والتركيز فيما يفعلون .. وينتجـون وماهيتهـم الشخصية .. ومدى صلاحيتهم لأي شيء .. لا تجد إلا "نجومية" مسـتمدة من تطبـيق هذه النظرية .. فالتفرقة سيادة .. والإيقاع اعتلاء .. وبث الشقـاق تتويج للمكانـة المتهافتـة .. وترويـج الاكاذيـب المتبادلة - إستنزاف لكل القوى وابعاد "الاهتمام" بما يحصلون عليه من إستثناءات وأموال وترقـيات .. بلا أي حق أو جدارة !

ابحثوا - بدقة وببطء .. وراء الخلافات الكبرى

في أي مكان .. ستجدوا أن عدم حـرص اي طرف على قتل "بداية" تطبـيق النظرية بضبـط النفس .. والتوصيف الحقيقي لمن يطبقـونها .. والمبـادرة بجلسـة وعتاب أخوي للطرف الآخر .. والثقـة الشديدة بالنفس (!!) .. وإستجلاء الحقائق .. والبحث – الجقيقي – في أخلاق الآخرين .. كل التسـرع في عدم إستيعاب ذلك كفيل بهدم علاقات ومكان وعرقلة عمل وتكوين ميليشيات للألفاظ .. وفتح الساحة على الغارب .. إلا إذا كان تكويننا – من الاصل .. بـما يحمل من حقد وحسـد وغيرة .. في إنتظار فرصة (!!) لفظ أو إشـاعة أو تقـولات – لينطلق .. كل الشر !!

●● الثقة بـالنفس .. وتضييق مساحـة الممارسـة لهؤلاء .. وتسليط الأضواء عليهم .. والتسـلح إلى أقصى درجة بالأخلاقيات إذا كانت نفوسنا لا تحمل في أعماقها ضغينة للآخرين .. كل هذا كفيل بارجاع الاهرامات لمكانتها .. وأبـو الهول لشـموخه .. وإفشال الدورة السداسية !

الكلمات السابقة قد تبدو موجهة إلى الرجل بصفة خاصة .. ولكنها كممارسة واسلوب حياة " و"انغماس" تلقائي أكثر ارتباطاً بسلوك الفتاة والمرأة في الحياة المصرية ..

•• ومواجهة هذه "الظاهرة" التي لا يمكن الاستهانة بنتائجها مرهونة بقدرة المرأة لا بكتاب ومحاضرة وتوعية .. وإلا ما فائدة كل هذه الشهادات !

هي .. تستطيع !!

في اليوم التالي – اكتشفوا المفاجأة .. المخلفات الملقاة من أعلى لعرض الشوارع والميادين .. الزجاجات وعلب "البمب" وكافة مقذوفات الاسطح والنوافذ .. الصراخ الهيستيري شبه الجماعي دون أن تتبين المصادر والوجوه .. والعودة في ساعات الفجر الأولى بوجوه وابتسامات مقبلة على الحياة .. قبل أن تبدأ !

اكتشفوا في اليوم التالي .. ان الاسعار لم تنخفض ووسائل المواصلات العامة واصلت بتكدسها السير والضجيج .. وأن مواعيد العمل والدراسة والالتزامات لم تتغير .. وأنه في كل الأحوال لم تتغير "جغرافية" المكان والشكل والإيقاع بين مساء الأمس .. وصباح اليوم !

●● استعادوا لبضعة دقائق أحاديث "الذكريات" في السهرات والتجمعات ونوادر العروض التليفزيونية .. تندروا على الظلام الذي زحف على الشوارع والعقول .. في منتصف الليل (!!) فتحرر الجميع تحت جنح الظلام ليعيشوا لساعات المرح واللهو وترصيع الشوارع بمئات الأطنان من القمامة والمخلفات والزجاج التي تمنع سيارات النجدة والإسعاف والمطافيء ووسائل النقل العام .. من المغامرة !

●● ثم سرعان .. بعد الاكتشاف والاستعادة .. ان انخرطوا في دقائق الحياة اليومية ومتابعة أخبار المذابح والانهيارات والانفجارات في عالمنا المعاصر .. لتذهب في نهاية اليوم الأول .. أوهام سعادة فجر .. نفس اليوم !

●● الغريب .. أننا ورثنا "جينات" الاحتفال بالعام الجديد وكأنها موروثات أصيلة في البناء الجسماني .. وضاعت كافة المناشدات التي تحث على الاستقبال المنطقي لعام جديد .. والاحتفال المتحضر بأي مناسبة .. ضاع هذا وذاك .. لأن البعض منا ولا

يستهان بعدده مازال مصراً على التعامل مع كل عام جديد بالمنطق الذي يسيء لشارع وميدان .. ويدفع المسئولين عن المواصلات إلى تخزينها قبل منتصف الليل .. بساعة ونصف الساعة !

●● كأنها .. حرب .. منتظرة وحتمية ولا فكاك من غبارها وأحجارها .. وأسلوب حياة اعتادناه لمن يمارسه .. ولمن يقاومه بالامتناع والحماية .. والاختباء!

ما يحدث .. تسلل إلى تفكير وتكوين البعض منا منذ عشرات السنين عندما كانت بعض الجاليات الأجنبية تعتاد على هذا الأسلوب ولكن بمخلفات .. أكثر رقياً (!!) .. رحل الاستعمار والجاليات .. وبقيت لنا منهم اسوأ .. ما ورثناه !

●● الأغرب .. أن المنوطين من حيث التقويم والمكان في الدول الغربية يحتلفون بالعام الجديد أما داخل منازلهم بالالتفاف حول المائدة ودفء الاسرة .. أو بالخروج إلى الشوارع للاحتفال بصورة جماعية .. في وضح النور !

لا يقوم بعضهم بالتلويث والتكسير والترويع .. ولا

يتولى المسـئول عنهم منع وسـائل النجدة والاغاثة والمواصلات تحسباً لهذه الممارسات بـل ونشـر مواعيد حـظرها في الصحـف اليومية وكأننا ندفع الجميع إلى التحسب .. والممارسة !

●● وإذا وصلنا يوماً ما إلى المستوى الذي ننظر فيه إلى العام الجديد باعتباره بداية مرحلة جديدة واعادة تقييم للذات وعبئاً إضافياً مطلوبـاً من الجميع للعمل فلن تتحول حياة البعض منا في الاحتفال إلى اعتباره مجرد أكلة وسهرة .. وفوضى وتهريج !

●● فشلت الكتابات والمناشدات وكل طرق التوعية في إيقاف هذه الظاهرة الجوفاء .. ولكنني على قناعة بأن المرأة من داخل المنزل (!!) .. تستطيع بحسـم ورفض وامتناع .. وتكشيرة ! وبأسـاليب متعددة .. تسـتطيع مهما كانت بسـاطتها أو درجة تعليمها أن تضع أو تقمع (!!) .. ما فشل فيه الجميع !

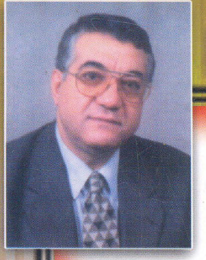
فهرس

هجرة .. قاسم أمين !!

عدسة الفنان

محمد عبدالموجود

رقم الايداع : ١٨٩٥٥/ ٢٠٠٤



هجرة .. قاسم أمين !

* رغم تعقد علاقات المجتمع بمشكلاته الخانقة إلا أن معظم الكتب التى صدرت فى "قضايا" المرأة تناولت السرد التاريخى لأنشطتها ومكانتها العظيمة فى الاسلام أو تقديم لنماذج منها فى التاريخين القديم والمعاصر أو توجيه انذارات مباشرة تهددها .. بعذاب القبر !

* ومن هنا كانت هذه المواجهة "محددة" من الكاتب الصحفى الكبير **محمد عبد المجيد** لأوضاع المرأة المصرية سواء السافرة أو المحجبة وبطرح جرئ وشجاع اعتادناه من صاحب القلم الساخر والرؤية الموضوعية .. والذى يستكمل بهذا الكتاب سلسلة مؤلفاته الاصلاحية .

* ومايؤكد عليه **محمد عبد المجيد** فى هذا الكتاب ايمانه بأن قدرات المرأة المطلوبة "تتجاوز الرجل بمراحل .. إذا صممت ورغبت وأرادت .. خصوصاً وأن "سى السيد" فشل بالطول والعرض وعلى كافة الأصعدة .. فى ادارة مجتمعه !

* .. ومع ذلك فمازالت "نظرة" الرجل للمرأة فى الحياة المصرية - وفى العموم - مهما كذب وتشدق بالتطور والعصرية .. كماهى !!

الناشر : ميدان الرياضة